تقديـــــــــــــــم

إذا كانت بوادر الازمة التشيكوسلوفاكية قد بدت منذ يناير عام ١٩٦٨ بالتغيرات التى طرأت على القيادة السياسية فيها ، فان هذه الازمة لم تبلغ السمت الا فى اغسطس من نفس العام بالاجراء العسكرى الذى اتخذته بلدان حلف وارسو •

وقد ظلت عناصر الازمة خلال مراحلها الاولى تشغل أقسام معينه من الناس غير انــه بعد التدخل العسكرى أصبحت الازمة فى مقدمة المشاكل العالمية ومن اهتمامات المواطـــن العادى وأحاديثه اليوميـــة •

وإذا كانت المشكلات الدولية ذات العناصر المعقدة لا يتأتى رؤيتها والتعرف على ابعادها الحقيقية بشىء من العمق الا بعد أن يتوفر لها البعد التاريخى الذى فضلا عن المادة التى يوفرها للبحث ، فانه يسمح بتفادى انفعالات اللحظة الراهنة ، فان ما كتب او نشر عن الازمـة لا يتعدى "التغطية الصحفية " أو الرصد اليومى للاحداث او على الاكثر تحليل جزئيــــة من جزئيات الازمـــــة •

لذلك اردت بهذا البحث ان يكون اكثر شمولا واحاطة بعناصر الازمة ومكوناتهـــــــا الحقيقية ثم تحليلا مترابطا لأحداثها وللتاثيرات التى تركتها على الجوانب المرتبطة بها •

وقد خصص الجزء الاول من البحث لدراسة " مقدمات الازمة " وهو الجزء الذى رأيـــت انه لاغنى عنه لاى تفهم موضوعى لاحداث الازمة كما بدأت منذ يناير عام ١٩٦٨ حيـــــث انه يتعرض للتطور السياسى فى تشيكوسلوفاكيا منذ أن تحولت الى النظام الاشتراكى فى فبرايـر عام ١٩٤٨ ، والسياسات التى اتبعها الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى والمثـــــــل والنماذج التى استوحاها فى التطبيق ، كما يتتبع ظهور الاتجاهات والقوى الجديدة التـــى بدأت تتبلور فى الحياة السياسية التشيكوسلوفاكية منذ بداية الستينات والى تطور المواجهـــة بينها وبين النظام وتبلورها حول مشكلتين رئيسيتين هما : المشكلة الاقتصادية ، ومشكلة الحرية •

اما الجزء الثاني فيتعرض لاحداث الازمة منذ بداية التغييرات في الجهاز الحزبي والحكومي ، والى المناخ الذي ارتبط بهذه التغييرات وما اثاره هذا المناخ من رد فعل لدى الاتحاد السوفييتي ودول حلف وارسو ، ويتضمن هذا الجزء المؤتمرات التي عقدت لدراسة هذه التطورات والرسائل التي تبودلت حولها وتحليلها بشكل يحدد مفهوم كل من طرفي الازمة لعناصرها .

اما الجانب الخاص بالتحليل فقد تناول التاثيرات التي تركها التدخل العسكري السوفييتي على العلاقات السياسية الدولية بصفة عامة ، وبشكل خاص على آفاق الوفاق واسلوب التعايش السلمي ، ثم على تأثيرها على العلاقات داخل الكتلة الاشتراكية من حيث العلاقات الثنائية بين الاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا وتأثيرها على الاحزاب الشيوعية الحاكمة وغير الحاكمة في اوروبا .

---

١ ــ المقدمـــــــات

" ان مصير الامة التشيكوسلوفاكيـــــــــه
هو جزء من مصير العالــــــم "

توماس مـــا زاريـــــــك

الأزمة التشيكوسلوفاكيـــــــــة

(١) المقدمـــــات

كان من نتائج الحرب العالمية الاولى انهيار امبراطورية النمسا والمجر التي كانت تضم عديـدا من قوميات وسط اوروبا • وقد نتج عن المعاهدات التي انهت هذه الحرب بروز هذه القوميـــات ككيانات سياسية مستقلة ومن ابرزها جمهورية تشيكوسلوفاكيا التي ضمت اقليم بوهيميا الذي كان يخضع للنمسا والاقليم سلوفاكيا الذي كان خاضعا للسيادة المجريـــة •

ومنذ ان اعلنت في اكتوبر عام ١٩١٨ اول جمهورية تشيكوسلوفاكية رأسها المفكر والفيلســوف توماس مازاريك THOMASC . MAZARYK . ورأس وزرائها زميلـــــه في العمل السياسي ادوارد بنز EDWARD BENEZ .

وقد شرعت الجمهورية الجديدة في تدعيم وجودها السياسي بسلسلة من التحالفات وذلـــك لتأمين وضعها الدولي فعقدت عام ١٩٢٤ معاهدة مع ايطاليا وانضمت اليها عام ١٩٢٥ كلا من انجلترا وفرنسا والمانيا ثم عقدت معاهدة تحالف منفردة مع فرنسا عام ١٩٢٥ ومعاهدة صداقة وتحالف وقعها مازاريك مع الاتحاد السوفييتي عام ١٩٣٤ •

وعلينا في الواقع أن نتوقف امام هذه التحالفات لانه — وكما سنرى ان وفــاء الاطراف بها او نقضهم لها سيكون له اثره الحاسم على تحديد وضعيـــة تشيكوسلوفاكيا والتطورات السياسية فيها للفترة ما بعد الحرب الثانيــــة بل ان سياسات اليوم تتخذ من مصير هذه التحالفات اساسا لهـــــا •

وعند بروز الهتلرية كانت تشيكوسلوفاكيا من أهم المناطق التي اشتهتها خاصة لموقعهـــا ومكانها الاستراتيجي في وسط اوروبا ثم لرصيدها الصناعي والتكنولوجي الضخم • وقـــد بدء هتلر بالمطالبة بمنطقة السوديت وكانت حجته الظاهرية انها تضم قرابة ٣،٥ مليـــون الماني يجب — باعتبار الوحدة الآرية — ان ينضموا الى المانيـــا •

وكجزء من سياسة الترضية . Appeasement التى اتبعها تشمبرلين فى انجلتــرا ودالاديه فى فرنسا تجاه هتلر وسياساته فى سبيل الحصول على السلام بأى ثمـــن وتمت معاهدة ميونخ عام ١٩٣٨ منحت بمقتضاها منطقة السوديت لالمانيا . ومـــن الطريف فى مجال تصوير العقلية التى دفعت الى هذه الاتفاقية ماقاله تشمبرلين فى تبريرها " انني لا استطيع ان أمضى بقيام حرب عالمية ثانية من أجل دولة لا يستطيع نصف الشعـــب الانجليزى ان ينطق اسمها .. " وكان يعنى بذلك تشيكوسلوفاكيا . غير ان التطـــورات وحكم التاريخ قد اثبتا ضحالة هذا الفكر وافتقاره الى التقييم الحقيقى للحركة النازية .

المهم انه منذ هذا التاريخ وهذه المعاهدة تقيم وتقاس تاريخيـــــا باعتبارها خيانة من الغرب لتشيكوسلوفاكيا ونقضه لتعهداته معهـــا وفى نفس الوقت بروز الاتحاد السوفييتى باعتباره الحليف والقوة الوحيـــدة التى وقفت الى جانب تشيكوسلوفاكيا وهذا ما سنرى انعكاساته علـــى التطورات فى هذا البلد فيما بعد .

لم يكتف تقديم منطقة السوديت لهتلر من نياته الحقيقية فغزت تشيكوسلوفاكيا وابتلعهـــا باسرها عام ١٩٣٩ وظلت تحت الاحتلال النازى حتى اندحار النازية وتحرير تشيكوسلوفاكيـــا بمساعدة الجيش الاحمر فى ٩ مايو عام ١٩٤٥ وفى ٢٩ يونيو فى نفس العام عادت حكومـــة تشيكوسلوفاكيا المؤقتة من الخارج يحتل رأسها ادوارد بنز والذى أعيد انتخابه فى يونيـو عام ١٩٤٦ رئيسا للجمهوريـــة ورأس الوزارة كليمنت جوتوالد الشيوعى وتولى وزارة الخارجية جان مازاريـــك ابن توماس مازاريك رئيس الجمهورية الاسبق .

ونستطيع ان نعتبر هذا التاريخ هو بدء فصل جديد من فصول التطور الداخلى فـــى تشيكوسلوفاكيا . حيث قامت حكومة ائتلافية اشترك فيها الحزب الشيوعى وكان أسلوب الائتـــلاف او الجبهة المتحدة هو الاسلوب المشترك الذى اتبعته الاحزاب الشيوعية فى دول شرق اوربـــا بعد انتهاء الحرب حيث كانت تمثل فيه مرحلة فى اتجاه الاستيلاء الكامل على الحكم وتصفيتهـــا للقوى التى تعارضها او ترفض الخط العام لسياساتها .

وما نود ان نقف عنده في هذه المرحلة من سعي الحزب الى السلطة هو التكتيك الذي اتبعه ، فنحن نعلم ان الحركات السياسية اليسارية بوجه عام تجعل من المسألة الاجتماعية هي المحار الرئيسي ، ولكننا هنا نجد ان الحزب في تشيكوسلوفاكيا قد قدم المسألة السياسية على المسألة الاجتماعية وكانت الورقة الرئيسية هي ابراز كيف ان الاتحاد السوفييتي هو القوة الوحيدة التى وقفت الى جانب تشيكوسلوفاكيا حين خانها الغرب واستغل الحزب في ذلك الوان القهر التى عاناها الشعب خلال فترة الاحتلال النازي وقد استمر اسلوب الائتلاف الحزبي حتى فبراير عام ١٩٤٨ وهو تاريخ الاستيلاء الكامل للحزب الشيوعي على كافة اوجه الحكم واستقال ادوارد بنز رئيس الجمهورية في ٧ يونيو عام ١٩٤٨ وخلفه في الرئاسة اوتوالد جوتوالد زعيم الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي وأعلن الدستور الذى أعلن تشيكوسلوفاكيا جمهورية شعبية ديموقراطية وان الحزب الشيوعي فيها هو الحزب القائد والموجه للحياة السياسية • غير ان سيطرة الحزب الشيوعي على الحكم لم تكن تعني انعدام وجود أحزاب آخرى حيث استمرت الاحزاب التى ارتضت اولا ان تعترف بان وجود الحزب كقوة قائدة في البلد وتقبل خطة السياسي العام ، ومن هذه الاحزاب تكونت " الجبهة الوطنية " التى ضمت الحزب الشيوعي ، والحزب الاشتراكي الديموقراطي وحزب الشعب الى جانب منظمات آخرى كمنظمات شباب واتحاد العمال واتحاد المرأة •

التطور السياسي في تشيكوسلوفاكيا منذ عام ١٩٤٨ :

هذه الملامح العامة للتطور السياسي لجمهورية تشيكوسلوفاكيا منذ قيامها عام ١٩١٨ حتى انقلاب عام ١٩٤٨ والذى أحدث تحولا جذريا في كيانها السياسي والاقتصادي ووضعها الدولي •

ودراسة التطور السياسي في تشيكوسلوفاكيا منذ هذا التحول هو[فى] واقع دراسة لتاريخ الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ولتكوين هذا الحزب ولشخصياته والسياسات التى تبناها وابقيها والمثل والنماذج التى استوحاها •

وقد كان الحزب الشيوعي لتشيكوسلوفاكيا — في فترة ما بين الحربين — واحدا من اربعة أحزاب شيوعية فقط تقوم بشكل علني في وسط وغرب اوروبا وهي أحزاب المانيا وايطاليا وفرنسا ، كما كان هو الحزب الوحيد الذي يحتكم على قاعدة شعبية في بلاده . غير ان الحزب بعد توليه السلطة قد تحول — في نظر منتقديه — الى حزب يرضى بتجربته والاتجاهات التي سار عليه — رغم تناقض هذا مع امكانياته الحقيقية — بعدم قدرته على أن يضيف جديدا الى الشيوعية الاوروبية سواء في النظرية او التطبيق وارتضت قياداته ان تستلهم نماذج خارجية تعتبرها هي الوحيدة والمثلى في التطبيق الاشتراكي لانه — وكما بررت فيما بعد — " لم يكن في العالم سواها .. " فباستعراض الشخصيات الثلاث التي ترأست الحزب وشكلت كادراته وهي جوتوالد ، وزابوتوتسكي ، ونوفوتني سنجد انها شخصيات باهتة ان كان فيها ثمة شيء بارز فهو في جانب التنظيم وتشديد القبضة على الحزب وبعد هذا فهي تفتقر الى أي عنصر خلاق او مبادرة الى اي جديد فكان كل ما يعنيها في تشكيل كادرات الحزب وقياداته هو ان تخرج ذات ولاء للخط العام السائد .

بهذا الشكل كان الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي محصنا ضد كافة عوامل التغيير التي بدأت تندفع على المعسكر الاشتراكي ، فلقد تحصن ضد التحول الذي حدث في سياسة الاتحاد السوفييتي نفسه بوفاة ستالين عام ١٩٥٣ والذي توافق بشكل غريب مع وفاة جوتوالد زعيم الحزب ، وهو الحدث الذي كان يمكن ان يقدم فرصة للحزب لا تعوض لتجديد نفسه ، وظل محصنا امام الاحداث التي حدثت في بولندا والمجر عام ١٩٥٦ ، بل على العكس تماما وجد فيها الحزب دليلا على وجوب الاستمرار في خطه الصارم .

كان هذا هو أسلوب الحزب في الوقت الذي اظهرت فيه أحزابا آخرى مظاهر استقلالية تتراوح ما بين الانسلاخ التام من المعسكر كما حدث في يوغوسلافيا عام ١٩٤٨ ، او الى التحول في الولاء كما حدث مع البانيا ، او في تبني سياسة اكثر استقلالية كما حدث في رومانيا او محاولة ممارسة سياسات فيها شيء من تأكيد الارادة كما حدث في بولندا والمجر .

ومما زاد من حدة هذا الوضع انه الحزب الذى يهتم اكثر بالدان المعسكر ارتباطا سواء بالقــــرب جغرافيا او من حيث النظرة الحضارية وهو الحزب الذى يضم ابناء تكم على اكثر الموارد الصناعيــة فهو اذن فى مركز حضارى وقوى يستطيع من خلاله أن يشارك فى صياغة تفكير وسياســـات التحالف الشيوعــــــى •

وقد كان عام ١٩٦٣ عاما هاما وحاسما فى تاريخ الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكـــى وتاريخ الامة التشيكوسلوفاكية فقد حمل هذا العام بذور تحولات داخلية حملت الحزب عبر طريـــق جديد ونتائج كان من الصعب التنبؤ بالمدى التى ستصل اليه • قال احد المفكرين التشيـــك فى وصف هذا العام " لقد مرت بنا اعواما من الركود ومن المأزق •• غير ان ثمة ماســـا اختلط فيه الخوف والضجر واليأس بالامل، ذلك هو عام ١٩٦٣ ، ولم يكن هذا العام كذلـــك لان الثمار فيه كانت على وشك النضج اوانها بدأت تنضج عبيرها كان اهم الحصرم ما ســـازال فى الحلوق غير انه يعنى هذا العام أن الفكر فيه بدأ ينتعش وتقوية الارادة فى التعبيـــــر عن الرأى بلا اى خوف والمبادىء التى لا تعرف الاستسلام بدأت تضرب بجذورها فى الارض •• "

واذا كانت التحولات السياسية العميقة هى فى تحليلها النهائى هى حركـــــــــات فكرية يقوم بها المفكرون على اختلاف اهتماماتهم فان التطورات التى حدثت فى تشيكوسلوفاكيـــا خلال الحقبة الاخيرة لم تكن استثناء من هـــذا •

ونستطيع ان نقول ان المفكرين والكتاب والمثقفين التشيك عموما كانوا القطـــــــاع الرئيسى الذى استجاب لريح التغيير التى انبعثت من الخارج متمثلة فى التطورات التى ألمـــت بالمعسكر الاشتراكى وبالتأثيرات التى كانت ترد بطريق او باخر من العالم الغربى ، ومـــــن الداخل فى شكل التحولات التى طرأت على ابنية المجتمع التشيكى وتركيبه الاجتماعى •

بهذا المعنى كان تتبع حركة الكتاب هو تتبع لاحدى القوى المؤثرة فى حركة المجتمـــع وابتداء من عام ١٩٦٣ سوف نرى تأثيرها الفعال على شتى الحياة فى تمهيدها لطريق انتفـــا نستطيع ا قول ان خلف مجموعات الكتاب هذه وخلف دورياتهم وما اتسم بـــه حملتهـــا من اتجاهات تكمن احدى الحقائق والدلالات الكبيرة فى احداث أغسطس عام ١٩٦٨ •

%

ويمكن ان نتتبع بذور هذه الحركة الفكرية الى عام ١٩٥٣ حيث بدأت تظهر في أوساط اتحاد الكتاب علامات السخط وعدم الرضى عن سياسات الحزب وتطبيقاته ، وكانت هذه الدلائل ثانية لانعقاد مؤتمر الكتاب المقرر عقده عام ١٩٥٣ والذى كان انعقد عام ١٩٥٦ بعد شهرين من المؤتمر العشرين للحزب السوفييتي وبعد أن بدأت معاني هذا المؤتمر الحقيقية تتسرب الى المثقفين التشيكوسلوفاك ، كان الشعار الذى اتخذه هذا المؤتمر " ان الكتاب يجب ان يكونوا ضمير أمتهم " وخلال جلساته بدأ الكتاب يتحدثون بجرأة غير معهودة عن أخطاء الماضي والتطبيق الخاطئ للسياسات المتبعة وفوق هذا كله هاجموا اشراف الحزب على الحياة الثقافية . وعند تقييم هذا المؤتمر سنجد ان من آثاره نمو هذا المناخ من الاثارة والاحساس بالحاح المشكلة الذى خلقه ثم انتشار عدواه الى فئات أخرى كالطلاب والمثقفين .

اما عام ١٩٦٣ فهو يستمد دلالاته الكبيرة باعتباره عام مؤتمرات الكتاب والصحفيين سواء سلوفاك او التشيك او اتحاداتهم العامة ، وقد ارتبط هذا العام بتدهور الحالة الاقتصادية في البلاد وباعلان فشل الخطة الخمسية الثالثة ٦١ - ١٩٦٥ والتخلي عنها ، وفي ظل هذه الظروف انعقد مؤتمر الكتاب السلوفاك ، فكان ان انتقد فيه رئيس الوزراء وليم شيروكي بالاسم واتهمت حكومته بالابقاء على تقاليد الستالينية وعبادة الشخصية .

وكان من نتيجة هذا المؤتمر أن اقيلت حكومة وليم شيروكي ونسب اليها تدهور الاحوال الاقتصادية والفشل في تطبيق الخطة ، والواقع ان اقالة حكومة وليم شيروكي لم تكن تصفية شخصية بقدر ما كانت تراجعا للنظام كله في وجه القوى الجديدة .

ومنذ هذا التاريخ بدأت تتبلور في الحياة السياسية التشيكية فئات اربعة : -

١ - <u>السلوفاك</u> : - وهم الذين كان يرمز لهم بالعداء للنظام حيث يواجهونه على جبهتين ، جبهة مشكلتهم القومية الخاصة بهم ومطالبتهم بالحكم الذاتي لاقليمهم في نطاق اتحاد فيدرالي مع الاقليم التشيكي وهو المطلب الذى كان يقف في وجهه شخصيا انطونين نوفوتني وبقية العناصر التقليدية في الحزب وبرروا فيه تفكيكا للاسلوب المركزية واضعافا لسلطة الحزب ، والجبهة الثانية هي جبهة المشكلات القومية العامة التي تجمعهم مع التشيك .

٢ - البرجماتيين : وهم العناصر التي تدرك حقيقة الواقع الاقتصادي والسياسي لامتهم ويدركون ان بناء النظام يعتمد على التغيير الشامل في اسلوب تفكيره وتناوله للأمور فبالنسبة للعلاقات بالدول الخارجية يقرون بالوضع الحرج لبلادهم في وسط اوروبا في ميزان التوازن الدولي ويدركون ان الحرب العالمية الثانية وما ارتبط بها ثم نتائجها قد جعلت ارتباطها بالاتحاد السوفييتي امرا حتميا الا انهم في نفس الوقت يعملون على تغيير الاطار الذي يضم هذا التحالف الى اطار يقوم على اساس من المشاركة والتعادل . ومن الخصائص الجوهرية لهذه الفئة هو تصورها الجديد للماركسية اللينينية وهو تصور واضح جدا انه لا يقوم على الأسس التقليدية والكلاسيكية ولكنه تصور يبحث عن البديل الموضوعي الذي لا ينفصل تماما عن اصول الماركسية اللينينية ولكنه ايضا لا يغمض العين عن حقائق التطور نفسه وعن الخصائص المميزة لامتهم ولعناصر تكوينها الحضاري.

ومن رموز هذه الفئة شخصيات مثل جوزيف لتيارت - والذي باعتباره هذا - سوف يترأس الوزارة خلفا لولايم شيروكي - والبروفسور اوتاسيك الذي سيرتبط اسمه باصلاح النظام الاقتصادي وغيرهم من العناصر التي يمكن ان نحدد وضعيتها لتقف في مكان وسط بين تيارات الحزب التقليدية وبين عناصره المثقفة التحررية

٣ - اما الفئة الثالثة فهي ما نستطيع ان نطلق عليها اسم التحريريين Revisionists وهم الذين يريدون تجاوز المبادئ الرئيسية للنظام وتبني مبادئ تقترب من الليبرالية التقليدية . فهم يعارضون ان يكون للحزب السلطة المطلقة في توجيه الحياة السياسية ويطالبون بحق قيام احزاب معارضة . والاطلاق العنان لحريات التعبير والانتقال ومزيد من الارتباط بالغرب سياسيا واقتصاديا وحضاريا . والى هذه الفئة تنتمي العناصر المشبوهة والتي تتخذ في الواقع دعاوى التحرر والديموقراطية اسبابا لتحقيق غايات لاارتباط لها وربما مناقضة لما تنادي به ومن ابرز هذه العناصر اصحاب الانتماءات الصهيونية .

٤ ـ الشباب : وهم قطاع المجتمع الذى يتراوح تاثره ما بين البرجماتيين الذين يستجيب لهم بعقله ، والليبراليين الذين يتجه اليهم بعواطفه وبالتحريفيين الذين يندفع اليهم بغرائزه . وقد كان من تصور الحزب فى تشيكوسلوفاكيا منذ توليه السلطة انه سوف يتمكن من خلق الانسان الجديد المشبع بالمثل الاشتراكية غير ان الحقبتين اللتين حكم فيهما الحزب قد اخرجتا جيلا على عكس ما كان يتصوره ، وقد تضافرت عدة عوامل على خلق الصورة التى خرج بها جيل ما بعد الحرب الثانية فى تشيكوسلوفاكيا فربما لانه باعتبار عمره الزمنى لم يعاصر الوقائع المريرة التى مرت بها بلاده منذ معاهدة ميونخ ولم يذق مرارة الاحتلال النازى أو يلم بالعناصر المعقدة التى تحكم وضع امته ، او انه باعتباره عنصر الشباب يضيق بهذه القيود التى ترتبط عادة بالنظم الشمولية او لانه يعيش فى قلب القارة الاوروبية وتبلغه عن طريق او آخر نمطها الحضارى بكل ما يحمله من عناصر جذابة الى الشباب ، وربما لان المستويات المادية التى يتيحها النظام لم تف بحاجات هذا الجيل خاصة اذا ما قارن نفسه بالوضع المادى لمثيله فى الغرب ، وربما ايضا أن تعاليم الاشتراكية والماركسية والاسلوب الذى قدمت به فى المدارس والمعاهد والجامعات لم يقدم بالصورة المقنعة الى هذا الجيل .
وربما هذا كله هو الذى خلق جيلا قلقا يتراوح فى فكره وسلوكه ما بين الثورة الدارسة واللامبالاة التامة .

وقد أصبح هذا الجيل بهذا المعنى مصدر صداع شديد للحزب لانه لا يعبر عن مشاكله الخاصة به لتحسين ظروف التعليم ورفع اجور خريجى الجامعة .. الخ بل يتعداها الى اوضاع عامة ابتداء من حرية الصحافة والتعبير وحق السفر والانتقال الى وضع امتهم فى المجال الدولى .

٥ ـ المحافظون : وهم الكوادر القديمة للحزب وان كان لا يخلو بعضهم من عناصر شابة وهي الكوادر التي تربت واعتنقت عن ايمان اساليب الحزب في الفكر والتطبيق منذ توليه السلطة ورأت في هذه الاساليب اداتها الوحيدة في تحقيق السلطة الاشتراكية والبناء الاشتراكي كما تؤمن بالارتباط المصيري بين بلادها وبين الاتحاد السوفييتي ، ونتيجة لهذا البناء الفكري والعقائدي الذي تكون لها أصبحت ترى اتجاهات التجديد محاولات مقنعة لتخريب النظام الاشتراكي والانقلاب عليها في بعض المواقف اتجاهات التجديد الحقيقية والاصيلة التي تصدر عن العناصر المخلصة بالحزب والتي تريد تطويره وربطه بجماهير الشعب بالعناصر المشبوهة التي من اهدافها الحقيقية العودة بالبلاد الى الاساليب الرأسمالية وفض ارتباطاتها بالاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي .

. . . .

هذه هي الاتجاهات الاربعة التي كانت تموج بها الحياة السياسية التشيكوسلوفاكية لما قبل تطورات يناير ١٩٦٨ ، وهي تقريبا نفس الاتجاهات التي واجهتها حكومة جوزيف لنيارت التي تولت الحكم في نهاية عام ١٩٦٣ .

ورغم انا قد سبق ان اشرنا الى وضع جوزيف لنيارت الفكري ومكانة بين هذه الفئات التي استقطبت الحياة السياسية في البلاد فجعلناه من رموز الفئة البراجماتية التي تدرك الحقائق الواقعية في حياة بلادها داخليا وخارجيا الا انها في نفس الوقت تتطلع الى صورة اكثر تطورا مع روح العصر كما تعمل على ان تقدم صورة للحزب خالية من الجوانب السلبية التي افقدت كثيرا من الروابط بينه وبين الجماهير وابعدتهم عنه ، الا انه لدلالة شخصية جوزيف لنيارت على طبيعة المرحلة التي تولى فيها فانه من المهم ان نتوقف عند شخصيته

قليلا لكي نرى انه في الاربعينات من عمره — فهو على عكس زميله السابق وليم شيروكي الذي كان قد تجاوز الستين — وهو الماركسي اللينيني الذي درس وتعلم في مدرسة اعداد القادة في موسكو ولكنه في نفس الوقت الماركسي الذي يرى الماركسية ويفسرها في ضوء حقائق التطور التي حدثت دوليا او في داخل المعسكر الاشتراكي او في مجتمعه نفسه ، وهو من جهة ثالثة العامل الذي امضى صدر حياته في المصانع ووصل الى مركز القيادة فيها ومكنته خبرته من ان يلمس عيوب أسلوب ادارة الانتاج . فليس غريبا ان يكون عهده هو عهد الصراع بين هذه العناصر المتعارضة التي تضمها شخصيته .

ونستطيع ان نلخص ان عهد لنيارتشان عهد انفجار المشكلتين الرئيسيتين في حياة المجتمع التشيكي ، بل ربما في حياة مجتمعات اوروبا الشرقية — وهما مشكلتي الاقتصاد ومشكلة الحرية حول هاتين المشكلتين اصطرعت كافة التيارات التي سبق أن اوضحناها ونتابع الآن كلا منها لتثبيت مفهومها حول كل من هاتين المشكلتين :—

١ — <u>المشكلة الاقتصادية</u> :

سار التطبيق الاشتراكي في تشيكوسلوفاكيا منذ عام ١٩٤٨ في كافة فروع الانتاج على أساس من النموذج السوفيتي ، بل انه قبل عام ١٩٤٨ وخلال فترة الائتلاف الحزبي تمكن الحزب من اصدار قوانين تأميم جزئية شملت البنوك وشركات التأمين والمشروعات الصناعية الكبرى والمناجم ومصادر القوى والثروة الطبيعية وصناعة الأدوية وصناعة الكيماويات والاسلحة . غير انه باستيلاء الحزب على السلطة اكمل التأميم الشامل لكافة فروع الانتاج وطبق نظام المزارع الجماعية على الزراعة بالشكل الذي طبق به خلال الثلاثينات في الاتحاد السوفيتي ومن ناحية أخرى قامت الاتجاهات الاقتصادية على أساس التركيز على الصناعات الرأسمالية وكان الهدف هو بناء قاعدة صناعية تصبح معها تشيكوسلوفاكيا هي الترسانة الصناعية لكل دول المعسكر ، وقد ارتبط بهذا المسار انحسار العلاقات الاقتصادية مع الغرب وحصرها مع الاتحاد السوفيتي وبلدان المعسكر الاشتراكي فقد بلغت تجارة الاتحاد السوفيتي منها ٤٣ %

من تجارتها الخارجية و ٦٣ ٪ مع بلدان المعسكر الاشتراكي ، وقد انعكست طبيعة الاسواق التي تعاملت معها التجارة الخارجية التشيكية على طبيعة ونوعية الانتاج التشيكي ، بالاضافة الى عدم التفوق على عناصر التجديد في الجوانب الفنية للانتاج الغربي وتكنولوجيته كانت متطلبات أسواق الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الاشتراكية لم تكن تتطلب مستوى عاليا في نوعية الانتاج ومستواه التكنولوجي ولذلك اقتنع الانتاج التشيكي بمستواه وبدأ يتخلف بشكل واضح عن الانتاج الغربي الذي كان قد حقق بفضل التقدم التكنولوجي مستويات مرتفعة في جوانبه الفنية • ومن ناحية أخرى كان أسلوب المركزية المطلقة هو أسلوب ادارة الاقتصاد حيث كانت المؤسسات تنفذ خطة مفروضة من أعلى وأصبح كل همها يتجه الى الوفاء بالخطة بغض النظر عن احتياجات السوق الفعلية له أو مستواه النوعي ، كما ارتبطت ادارة المشروعات بالواقع السياسي فكان المعيار السياسي هو اساس اختيار المديرين حيث كان الولاء السياسي يقدم على الخبرات الفنية وأصبح للجانب الحزبي في المشروعات والمصانع الصوت الأعلى حتى في الجوانب الفنية للانتاج •

وقد نتج عن هذه الأوضاع مظاهر عدة عانى منها الاقتصاد التشيكي والمجتمع على سواء :ــ

(١) ندرة المواد الاستهلاكية

(٢) تدهور المستوى النوعي للانتاج وانعدام فرص توازيه فضلا عن تنافسه مع الانتاج الغربي

(٣) انخفاض في الأجور بشكل لا يتناسب مع الأسعار

(٤) ساعات عمل وصلت الى ٤٦ ساعة اسبوعيا

(٥) خسارة بلغت ملايين الكرونات في منتجات تكدست في المخازن لانها لم تلق أي استجابة من المستهلك لرداءة مستواها النوعي او لانخفاض القدرة الشرائية •

وقد تجمعت هذه العناصر السلبية وانعكست على الخطة الخمسية الثالثة ٦١ ــ ١٩٦٥ والتي نبه بعض الاقتصاديين الحزبيين وغيرهم الى عدم واقعيتها ووصفوها بالمغامرة وصمم الحزب على تنفيذها حتى اضطر تحت تراكم العناصر السابقة الى التخلي عنها عام ١٩٦٢ واستبدالها بخطة سنوية ٦٣ ــ ١٩٦٤ •

لذلك كان من أبرز مهام حكومة ليبنارت هو مواجهة الوضع الاقتصادى ولم يكن الامر يتطلب اصلاحات جزئية بقدر ما كان يدعو الى صياغة شاملة تضم جميع جزئيات التوجيه الاقتصادى يتخلى فيه عن عناصر كثيرة من نظام ادارة الاقتصاد القديم وادخال عناصر جديدة فى النظام الجديد رغم ماكان يبدو - فى المفهوم الماركسى التقليدى - من تدعيمة العناصر الأولى ومراهقة العناصر الثانيــــة •

وقد خرجت حكومة ليبنارت بما اسمته " بالنظام الجديد لادارة الاقتصاد القومى وتوجيهه " والذى يعتبر البروفسور اوتا سيك عضو اللجنة المركزية للحزب ومدير معهد الاقتصاد التابع لاكاديمية العلوم هو مهندسه وصاحب الفكر الحقيقى وراءه ، وقد استغرق وضع هذا النظام عاما كاملا حيث اعلن فى يناير ١٩٦٥ لكى يطبق جزئيا على بعض المشروعات باسلوب تجريبى •

ويعتمد النظام الجديد فى ادارة الاقتصاد على الأسس الاتيــــة :-

١ - اللامركزية فى الانتاج :

ويقصد به احلال هذا الاسلوب محل اسلوب المركزية المطلقة فى ادارة عمليـــات الانتاج حيث كانت المؤسسات تتلقى الخطط الخاصة بها من الوزارات ، ويتســـاءل عرض النظام الجديد ان نظام المركزية كان يتفق مع البناء الاشتراكى فى مراحلــــه الاولى الا انه لم يعد يتفق وطبيعة المرحلة التى بلغها الاقتصاد التشيكـــــى ولذلك قصد النظام الجديد الى اعطاء حرية أوسع للمؤسسات فى وضع الخطط الخاصـــة فى اطار الخطة العامة للدولة باستجابتها للحاجات الفعلية للسوق •

٢ - مسئولية وسلطة اوسع للمديريين :

وتبعا لهذا الوضع الجديد كان من الطبيعى ان يكون لمديرى المؤسسات مسئوليـــة اوسع واعتبارهم مسئولين مباشرة عن الاوضاع الانتاجية فى وحداتهم ، وقد ترتـــب على هذا تغييرا فى الاسس التى كان يتم على اساسها المديريين ويختارون ليصبح معيــار الكفاءة الشخصية والخبرة اساس اختيار المديريين وليس ولاءهم او لونهم السياسى •

٣ ـ نظام الحوافز الفردية :

وهو يشكل عنصر اساسي في النظام الجديد حيث لم يعد الأجر الثابت هو أســـاس الاجور ولكن الأجور أصبح في النظام الجديد ينقسم الى فئتين فئة ثابتة وفئة اخـــرى تتوقف على مدى انتاجية العامل كفرد وانتاجية وحدته ككـــــل .

٤ ـ الاخذ بنظام عدم تثبيت الأسعار والاعتماد في ذلك على العرض والطلب.

٥ ـ اعطاء اهتمام كبير للجوانب الفنية والنوعية للانتاج .

وعلينا ان نتوقف عند تقييم النـــــظام الجـــديـــد ، تقييمه من جوانـــب الايديولوجية ، وجوانبه التطبيقية ، وتقييم مفاهيمه السياسية التي يحملها ، ذلك أن وضع هذا النظام موضع التطبيق هو الذي القى اضواء الكاشفة على المواجهة المباشرة بين قوى التجديـــد والقوى التقليديـــة .

فمن الناحية الايديولوجية سنجد انه رغم تأكيدات دعاة النظام الجديد بانه ليس فيه اى أساس يمس جوهر الاشتراكية وأسسها النظرية الا انه في التحليل نجده يضم من عناصـــر لا تتفق مع الفكر الماركسي التقليدي . مثل تلك المتعلقة باقتصاديات السوق والعـــرض والطلب والدوافع المادية ، بالاضافة الى ما يحمله أسلوب اللامركزية من اضعـــــاف لسلطة الحزب ، من هذه الزاوية اعتبرته العناصر المتشددة خروجا على المفاهيـــم الماركسية الأصلية ومحاولة لتفتيت الأسس الاشتراكية .

اما المعاني السياسية التي يحملها تطبيق النظام الجديد والتي كانت السبـــب الحقيقي في العقبات التي لاقاها عند التطبيق فهي تلك المتعلقة بمكانة الحـــزب وسلطته داخل الوحدات الانتاجية ومن ثم على الحياة الاقتصادية للبلاد ، فتطبيق النظام الجديد يعني الواقع تخلي الحزب عن سيطرته ومكانته التقليديـــــة في مراكز الانتاج ، فالعمليات الانتاجية في رأى دعاة النظام الجديد هي عمليـــات

فنية يجب ان تطبق وتقاس بمعايير فنية محددة • فخبرة المديرين والمنفذين يجب ان تكـون هي أساس الادارة الاقتصادية وليس ولاءهم السياسي فليس من الضروري ان يكون مدير المؤسسة او المصنع عضوا في الحزب كما يتطلب بالضرورة عدم تدخل لجان الحزب في المؤسسـات في الجوانب الفنية للانتاج وان تقتصر اهتماماتها على النواحي الثقافية والاجتماعية •

اما المعنى الثاني فهو يتعلق بالجانب التكنولوجي والنوعي للانتاج • فمن اركـان النظام الجديد اعتماده على الارتفاع بالمستوى النوعي للانتاج ومحاولة الوقوف به امـام المنافسة الغربية • وهذا لا يتم عمليا الا بالاتصال بمراكز التقدم العلمي والتكنولوجـي في الغرب للاستفادة من التطور الذي حققته • وهذا في ذاته يعني علاقات اكثر تطـورا مع بلدان هذا العالم سياسيا واقتصاديـا •

والواقع ان الاعوام من ٦٤ — ١٩٦٧ قد شهدت انفتاحا لم يسبق له مثيـل منذ الحرب العالمية الثانية على الدول الغربية بكل ما يحمله هذا الانفتاح من عناصر مادية وحضارية • فقد تعددت زيارات وزراء الخارجية بين تشيكوسلوفاكيا وانجلترا وفرنسا ودول شمال فضلا عن الوفود الاقتصادية والعلمية مع هذه البلدان • وكان هذا الانفتاح اقتصـاديا وعلميا في جوهره يستهدف في المحل الاول خدمة الاقتصاد القومي وخططه الجديدة • اما المانيا الغربية فكانت العلاقات معها تمثل نقطة حساسة وحرجة لا بالنسبة للعلاقات الثنائيـة ولكن بالنسبة للعلاقات داخل الكتلة الاشتراكية والتوازن والامن الاوروبي ككل • فحتـى اغسطس عام ١٩٦٧ كانت تشيكوسلوفاكيا هي الدولة الوحيدة بين اقطار المعسكر الاشتراكي التي ليس لها اى علاقات رسمية مع المانيا الغربية وحتى نقطة تبادل المكاتب التجاريـة كانت تلقى العديد من العقبات — غير ان هذا لم يعوق التبادل التجاري بين البلديـن فضلا عن تدفق الاف السياح من المانيا الغربية الى تشيكوسلوفاكيا بحيث احتلت المانيـا الغربية مكان المحل التجاري الثاني لتشيكوسلوفاكيا بين دول الغرب حيث بلغت تجارتهـا مع تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٦ — ٨٠٠ مليون مارك الماني غربي اى ما يوازي ٢٠٠ مليـون دولار • اما الاتفاقية الجديدة التي وقعت في اغسطس عام ١٩٦٧ فهي تهدف الى رفـع

هذا التبادل الى مليون مارك الماني أي ما يوازي ٢٥٠ مليون دولار ، كما نصت الاتفاقيـــــة
ان يكون للبعثة التجارية حق اصدار جوازات السفر الى المانيا الغربية — ولم يمنح هذا الدستـــور
بالبعثة المجال ليرضي العناصر التقليدية في الحزب ، فالمانيا الغربية عندهم هي موطن الالمان السوديت
الذين ابعدوا الى المانيا الغربية وفقا لاتفاق بوتسدام ويبلغون حوالي ٢ر٥ مليون ، وما تلبـــــث
تجمعاتهم وأحزابهم من حين لآخر في المطالبة باستعادة هذه المنطقة بل ان رسميين من حكومـــة
بون ووزراء فيها يحضرون ويخطبون في هذه الاجتماعات ، فهي اذن موطن النازية الجديـــــدة
والانتقامية ، وحكومة بون ارتباطا بهذا ترفض ان تعلن بطلان معاهدة ميونخ وعدم شرعيتهـــــا
فهي اذن توافق ضمنيا على سياسات هتلر ودعاويه في الأرض التشيكية ولا ترضى بالنتائج التي انتهـــت
اليها الحرب الثانية ، والمانيا الغربية كذلك هي اداة الامبريالية الامريكية وسياستها الجديـــدة
في بناء الجسور مع بلدان اوروبا الاشتراكية فما دامت الولايات المتحدة لم تستطع ان تســـقط
النظم الاشتراكية بالوسائل المكشوفة كاثارة الاضطرابات والثورات المضادة كما حدث في مراكز عـــدة
في المعسكر الاشتراكي فالتتبع أسلوب التخريب من الداخل ، وأداة هذا التخريب القريبـــة
هي المانيا الغربية وتقديمها كنموذج مواجهة للنظام الغربي الرأسمالي ، وهي من جانب آخـــــر
موطن الاحتكارات الاقتصادية والصناعية الكارتلات التي تريد ان تسيطر باستثماراتها علـــــى
اقتصاديات تشيكوسلوفاكيا وتستعيد مواقعها الاستثمارية التي كانت لها قبل الحرب الثانية .

من هذه الزوايا جميعا كانت العناصر التقليدية في الحزب تعارض المبادرة تتقدم بهـــــا
حكومة بون لاقامة أي نوع من العلاقات مع تشيكوسلوفاكيا والتي كان آخرها المذكرة التي قدمتهـــا
حكومة ايرهارد في عام ١٩٦٦ الى حكومات اوروبا الاشتراكية تعلن فيها ان ليس لبون اي مطامـــع
اقليمية في هذه البلدان وعن استعدادها لعقد اتفاقيات ثنائية لعدم الاعتداء . غير ان النظام
في تشيكوسلوفاكيا رفض هذه المبادرة وأصر على ان تصدر حكومة بون اعلانا صريحا بعدم شرعيـــة
معاهدة ميونخ والاعتراف بنتائج الحرب الثانية . وهذا ما لا توافق عليه حكومة بون .

%

٢ ـ مشكلة الحريـــــة :ـ

مشكلة الحرية والديموقراطية فى تشيكوسلوفاكيا هى الى حد بعيد مشكلة الكتـــاب والمثقفين التشيك على اختلاف اهتماماتهم ، فهى عندهم تكتسب ابعادا اوسع من مجـــرد اهتماماتهم الثقافية او بحريات تتعلق بحرية التعبير او التفتح على افكار وثقافات العالم ، ولكنهــا تتجاوزها الى مشكلات المجتمع وقضاياه السياسية والاقتصادية والايديولوجية فحركة الكتـــاب التشيكوسلوفاك هى فى الواقع حركة سياسية تتخذ من ميادين الثقافة والفكر طريقا الى تناول مشكـــلات مجتمعاتها ، لذلك فان دراسة حركة الكتاب هى كما سبق ان اشرنا دراسة الاتجاهات تمس صميـــم الهيكل السياسى والاقتصادى والايديولوجى للبلاد .

وقد كان مجال الثقافة والأدب والفكر عموما من أهم الميادين التى عنى الحزب الشيوعـــى التشيكوسلوفاكى عند توليه السلطة ان يطبق فيها مفهومه لدور الثقافة وطبيعتها فى المجتمـــع الاشتراكى ، واذا كان زدانوف فى الاتحاد السوفييتى لم يعترف فى مجال الأدب والفن ســـوى بمذهب الواقعية الاشتراكية اسلوبا للتعبير الادبى والفنى واعتبر كافة اشكال التعبير الاخرى اساليـــب برجوازية تعكس تحلل البرجوازية وتتعارض تماما مع مهام البناء الاشتراكى ، كما أخضع كافة اجهزة الأدب والثقافة والفنون لاشراف الحزب وتوجيهاته ، كذلك كان نفس أسلوب الحزب فى تشيكوسلوفاكيا تجـــاه مشكلات الثقافة والادب وكان خطه الذى التزم به ورفض التنازل عنه حتى نهايات عام ١٩٦٧ هـــو اخضاع كافة الاتجاهات والمجالات الأدبية وأدوات التعبير عنها لاشراف الحزب وتوجيهه ، وقـــد نتج عن هذا الخط اتجاهات ضارة بميدان الأدب والثقافة مثل ان يعهد الاشراف على حقل الادب والفن الى عناصر لا تمت بصلة الى طبيعة هذه المجالات حتى قيل بعد عام ١٩٦٨ " أن الرجـــل الذى يشرف على الأدب التشيكى والذى يقرر مصير الكتاب وانتاجهم لا يعرف اللغة التشيكية "

وكان يشار بهذا الى " بافل ريمان " وهو المانى الأصل ارتبط بالحزب الشيوعى التشيكـــى خلال الحرب الثانية ، وغيره كثيرون من امثال لاديسلاف شتول الذى شغل منصب استاذ بجامعـــة براغ دون أن يحصل على درجة جامعية ويرى كثيرون انه اكثر العناصر تشددا فى الحزب .

وقد اشرنا الى ان الكتاب كانوا اولى القطاعات التى ظهرت بين صفوفها اتجاهات ليبرالية واستجابت لريح التغيير التى بدأت تهب من الخارج والداخل واشرنا فى هذا الصدد ان بوادر هذه الاتجاهات قد ظهرت بين اتحاد الكتاب عام ١٩٥٣ ، ثم عبرت عن نفسها فى مؤتمرهم عام ١٩٥٣ حتى ظهرت بشكل حاد وفعال فى مؤتمراتهم عام ١٩٦٣ وكان من نتيجتهـــا عزل رئيس الوزراء وليم شيروكى ، ولم يكن هذا الحدث فى الواقع عملا من جانب النظـــام لتهدئة الكتاب واسترضائهم كما اراد بقدر ما كان نتيجة لمواجهات اكثر عنفا بين النظام وبينهم .

وقد اتخذ الكتاب من مجلاتهم التى تصدر عن اتحاداتهم منابر للتعبير عن الاتجاهـــات الجديدة ، فكانت مجلة Litrarni Noviny. هى مجلة اتحاد الكتـــاب التشيك ، ومجلة . Litrarhy Listy هى مجلة اتحاد الكتاب السلوفاك ، هـــى اكثر المنابر تعبيرا عن هذه الاتجاهات وتجمع لكافة الاقلام التى شنت اعنف الحملات على سياسات الحزب ومواقفـــــه : -

(ا) ففى النواحى الاقتصادية انتقد الكتاب الاقتصاديين اسلوب المركزية وعبـــادة الخطة وطالبوا بانتهاج اللامركزية والاستفادة من النموذج اليوغوسلافـــى وبعد اعلان النظام الجديد لتوجيه الاقتصاد اعربت اقلام كثيرة عن تشككهـــا فى نجاحه اذا لم يرتبط تطبيقه بتغيير فى المناخ السياسى العام وتغيرت نظرة الحزب الى دوره ومكانته فى المجتمع .

(٢) وفى الجوانب الايديولوجية هاجم الكتاب الجمود فى فهم فى تفسير الماركسيـــة وطالبوا برؤيتها فى ضوء التحديث والتطور الحضارى لمجتمعهم وقال أحدهـــم " هل نستمر فى عبادة ما خلفه لنا أجدادنا ام نتطلع الى افكار جديـــــدة تلائم عصرنـــــا " .

(٣) كما تعرض المفكرون الاجتماعيون لنظام قصر التسليم على الفئات ذوى الاصول البروليتارية وحرمان ذوى الاصل البرجوازى منها .

اما الدعوة المشتركة فكانت في رفع الرقابة عن الصحف والمجلات وأدوات الاعـــلام الأخرى . وقد هزت هذه الاتجاهات الدوائر التقليدية في الحزب واعتبرتها محــاولات لاضعاف سلطة الحزب في كافة هذه المجالات ومن ثم الى تفتيت السلطة الاشتراكيـــة الموجودة بالبلاد الى الاشكال الرأسمالية . وقد حدث أن ذهب نوفتني بنفسه الى اقليــم سلوفاكيا واجتمع بكتابه وقد بلغ الاجتماع حد المواجهة المباشرة وانسحب معظم الحاضريــن من الاجتماع . وبعد هذا الحدث أصدر الحزب بيانا مطولا عن دور الأدب والثقافة في المجتمع الاشتراكي ردد فيه مواقفه ومفاهيمه في هذا الشأن والتي تؤكد سيطرة الحزب واشرافـــه على كافة مجالات التعبير وتقييد كافة الاتجاهات التي ظهرت في مجالات الكتاب الوانــــا من الهرطقة وبعد هذا البيان أصدر اتحاد الكتاب بيانا ردا على بيان الحزب ودافـــع فيه عن الاقلام والتي تحرر في مجلاته والتي هاجمها الحزب وقيل في نهايته " ستظـــل رسالتنا . وستظل نحمل اقلامنــــا " .

وقد ارتبط بهذه المواجهة حركة نمو وتجديد في الأدوات الاعلامية في البـــلاد انعكست على الحياة الثقافية بحيث جعلت من براج مركزا جذابا لكافة افكار المعسكر الاشتراكـــي الى الحد الذي أعلن معه النظام في المانيا الشرقية تخوفه من امتداد عدواها الى مجتمعـــه فقد بدأت اجهزة التليفزيون تعرض برامج لأجهزة تليفزيون فرنسا والنمسا فتعرض [illegible] نماذج الحياة الغربية واساليبها ذات الجاذبية الشديدة لدى المجتمع التشيكي وخاصة الشبـاب فيه .

وبدأت المسارح التي كانت عروضها قاصرة على روايات جوركي وتشيكوف وابسن تعـــرض روايات سارتر وآرثر ميللر وابنسكو وصمويل بيكيت ودورنيمات . كما عرضت دور سينما أفلاما من كافـــة بلدان الغرب . وفي مجال الأدب أعيد تقييم الكاتب التشيكي الاصل فرانز كافكا الـــذي كان ادبه مصادرا في البلاد باعتباره ادبا برجوازيا يشيع فيه العبث واللامعنى ورفض الحيـــاه وهي جميعها لا تتفق مع الروح الاشتراكية وعقد مؤتمرا في براج لاعادة تقييم اعماله حيث نظـــر اليها في ضوء جديد كما اتيح معرض لكتبه ومخطوطاته ودراساته .

كانت هذه المظاهر الجديدة على الحياة الثقافية فى البلاد تجرى رغم ارادة العناصر التقليدية فى الحزب ووسط هجومها وتهديداتها •

وفى يوليو عام ١٩٦٧ انعقد مؤتمر الكتاب الثالث ، وفى هذا المؤتمر تزايد تهجم الكتاب على النظام الى حد أن قيل ان البلاد خلال الفترة الماضية كانت تمر " بعصرها المظلم الثانى " يومها صرح نوفتنى بان الحزب لن يتسامح تجاه الاتهامات التى وجهت اليه فى هذا المؤتمر وانه ليعلن انه سوف يطبق مبادئ الاشتراكية على الجميع وسوف لا يقبل التنازل فى هذا الصدد وقد تبع هذا التصريح ان اخرجت مجلتى

من تبعية اتحادات الكتاب الى تبعية وزارة الثقافة وأعيد تشكيل اتحادات الكتاب وابعدت منه العناصر التى تهجمت على الحزب فى مؤتمر الكتاب الاخير ، وكان هذا هو آخر مشاهد الحركة الثقافية فى نهاية عام ١٩٦٧ •

على انه يجب ان لا يمر تقييم حركة الكتاب فى تشيكوسلوفاكيا دون ان نقف عند احدى نقاطها الهامة ونعنى بها مدونات هذه الحركة والعناصر التى ارتبطت بها وهى نقطة ربما هى اكثر أهمية لنا من اى طرف آخر • فقد اثبتت احداث تشيكوسلوفاكيا ومن قبلها القلاقل التى وقعت فى بولندا بين صفوف الطلاب والمثقفين فى بدايات عام ١٩٦٧ أن العناصر ذات الاصول والانتماءات الصهيونية قد اتخذت من حركة الكتاب ودعواتهم المخلصة الى تجديد جوانب الحياة فى مجتمعاتهم اتخذوا منها أداة لتحقيق اغراض تخدم فى الدرجة الاولى مصالح الصهيونية كما اثبتت احداث البلدين ان ولاء هذه العناصر فى النهاية يتكشف الى جانب الصهيونية العالمية واسرائيل لكى يعلو على ولائهم لاوطانهم الأصلية •

وقد ظل النشاط الصهيونى كامنا فى تشيكوسلوفاكيا منذ اعدام سلانسكى اليهودى والذى كان سكرتير اول للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى وجند امكانيات الدولة لخدمة اسرائيل ومنذ اعدامه عام ١٩٥٣ وتكشف جوهره الصهيونى واجتثاث العناصر الصهيونية التى تعاونت معه والنشاط الصهيونى فى تشيكوسلوفاكيا فى حالة كمون ولم يرتفع له صوت ولم يبد له اى تاثير

على انه وبأسلوب الصهيونية في التوغل الى المراكز ذات التأثير على المجتمع تسللت بعض هذه العناصر الى اجهزة الاعلام ومراكز الثقافة واتحادات الكتاب ، وقد وجدت هذه العناصر فرصتها خلال فترة الاحياء التي مر بها المجتمع التشيكي لتحقيق غاياتها الخاصة وقد نجحت هذه العناصر من ان تجعل موقف الحكومة التشيكية من أزمة الشرق الاوسط احد القضايا الرئيسية في الحياة التشيكية وان تنظم المظاهرات ضد موقف الحكومة المؤيد للعرب وتجمع التوقيعات لاعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، وكان حادث الكاتب التشيكي الصهيوني لاديسلاف موناكو كافيا لاظهار الولاء الحقيقي لهذه العناصر فقد فر الى تل ابيب بعد ان قطعت حكومته العلاقات مع اسرائيل مدعيا الاحتجاج بذلك على الموقف المؤيد للعرب وأعلن انه لن يعود الا بعد اعادة العلاقات مع سرائيل فكان أن خلعت عنه الحكومة التشيكية الجنسية التشيكوسلوفاكية .

غير أن ثبوت هذه الحقيقة التي شوهت حركة الكتاب والمثقفين التشيك ونجحت في الانحراف بها عند بعض الزوايا يجب الا تجعلنا نصبغ الحركة كلها بها فالكتاب التشيك لهم تراث عريض في تاريخ بلادهم الى جانب القيم الديموقراطية ، وأقسام كثيرة من الذين كونوا الحركة الثقافية الاخيرة في بلادهم هي من العناصر الوطنية المخلصة التي تصدر عن رؤياها الوطنية لمشكلات مجتمعها ، وأقسام كثيرة منها ايضا اكثر اخلاصا للقضية الاشتراكية وحرصا على ربط المجتمع بها وهم يعبرون عن ايمان بان التراث الديمقراطي والحضاري لبلادهم يؤهلها لان تقدم وجها انسانيا للاشتراكية .

٢ ـ الاحداث

" ان تجربتنا تستهدف استعادة
الاشتراكية في تشيكوسلوفاكيا
لوجهها الانساني "

الكسندر دوبتشيك

رأينا ان نهاية عام ١٩٦٧ قد شهدت قمة المواجهة بين العناصر التقليدية وبين القوى الجديدة بمختلف مكوناتها ، وأن هذه القوى قد اكتسبت مواقع عدة فى الهيئة التشريعية فرضت فيها مفاهيمها ، ففى الداخل وجدنا انحيازا ثقافيا تحرريا قد شمل الحياة الثقافية باسرها وجعل من براغ مركز واسعة بالنسبة لكافة بلدان اوروبا الشرقية وفى الخارج اتسعت علاقات تشيكوسلوفاكيا بالعالم الغربى وكان قمة هذا الاتجاه هو توقيع اتفاقية تبادل البعثات التجارية مع حكومة المانيا الفيدرالية والتى لم تكن تخلو من مضمونات سياسية ، وقد بقيت عمليات تطبيق النظام الاقتصادى الجديد بما يتطلبه من اجراءات تبدل من عناصر جوهرية فى النظام القديم بقيت تمثل قمة المواجهة بين الجناحين وادركت القوى الجديدة ان تصفية هذه المواجهة لصالحها يتطلب الاساس تغييرا شاملا فى المناخ السياسى السائد ، ولم يكن خلق هذا المناخ ممكنا فى الواقع الا بتغيير فى القيادة السياسية وفى كثير من هياكل الحزب وكادراته ، وهذا ماجعلته العناصر الجديدة هدفها مع بدايات عام ١٩٦٨ .

ففى ٩ ديسمبر عام ١٩٦٧ طالبت ثلاثة من السلوفاك الاعضاء فى مجلس رئاسة الحزب اقصاء انطونين نوفتنى من سكرتارية الحزب ورئاسة الجمهورية وقد ركزت هذه العناصر على ان نوفتنى فى البداية باعتباره رمز الترتيب التقليدى فى الحزب ومترتبطا كافة الجوانب والسياسات التى تبغى القوى الجديدة تغييرها ، وقد جرى التصويت فى المجلس على هذا الطلب وكان نتيجة الاقتراع ٨ : ٢ فى صالح الطلب غير انه يقال ان فى عشية الاقتراع حضر برجنيف الى براغ وشهد اجتماعا لمجلس رئاسة الحزب اعيد فيه الاقتراع على الطلب وكانت النتيجة ٥ : ٥

<u>بداية التغييرات فى القيادة : انتخاب دوبتشيك سكرتيرا للحزب : -</u>

غير انه فى ٥ يناير عام ١٩٦٨ انتخبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى الكسندر دوبتشيك سكرتيرا اول للحزب واقرت احتفاظ نوفتنى بالرئاسة . وقد كان هذا الاجراء من أخطر القرارات فى الحياة السياسية لتشيكوسلوفاكيا حيث بدا للمراقبين فى حينه انه بداية سلسلة من التغييرات ستشمل كافة أجهزة الحزب وكادراته .

فالمعروف انه لخطورة منصب سكرتير اول الحزب فى النظم الاشتراكية وتأثيره الشامل بحيث كان الضمان لاعادة انتخاب نوفتنى رئيسا للجمهورية للمرة الثانية فى عام ١٩٦٥ .
وبغض النظر عن احتمالات تطور هذا الاجراء الى تغييرات سياسية اشمل فانه فى حد ذاته كان تحقيقا لمطلب قديم للقوى المتحررة تطالب فيه بفصل منصبى سكرتير الحزب عن منصب رئيس الجمهورية وكانت العناصر التقليدية ترى فى هذا الفصل اضعافا لهيمنة الحزب ولقراراته

ومن ناحية أخرى كان تولى شخصية سلوفاكية منصب سكرتير اول الحزب يعتبر حدثا ذا دلالة كبيرة فى الحياة السياسية التشيكوسلوفاكية التى قامت على اساس الاحتفاظ بمراكز الثقل والسلطة المركزية للتشيك ، كما كانت دليلا على تناول جديد للمشكلة القومية .

وقد حرص دوبتشيك بعد توليه سكرتارية الحزب ان يؤكد تجاوبه مع متطلبات التغيير فأكد ان التغييرات التى حدثت هى بداية لحركة ديموقراطية تستهدف " أن تستعيد الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا وجهها الانسانى " ، وأكد ان المجتمع فى بلاده قد نضج واصبح مهيئا ومستعدا لان يتطور الى مجتمع ديموقراطى واشتراكى حقيقى يصبح معه من الواجب احترام الاختلافات فى الرأى العام . كما طمأن الصحفيين والكتاب ان الحرية الجديدة التى اكتسبوها برفع الرقابة عن الصحف واجهزة الاعلام سوف تستمر وانه يمكنهم الاعتماد على معانى " الحرية " والديموقراطية " الجديدة ، كما ان اساليب الحزب لن تقوم بعد على استخدام الاساليب الادارية فى حركته بين الجماهير ولكن ستعتمد على جاذبية المبادئ وعلى صحة تطبيقها . كما أعلن ان علاقة بلاده مع الاتحاد السوفييتى ستكون على أساس من " استقلال تشيكوسلوفاكيا "

ومن المهم ان نتوقف لكى نتعرف على شخصية دوبتشيك ومكوناتها باعتبار الدور البارز الذى أصبح يشغله فى توجيه الحياة السياسية لبلاده ، وشخصية دوبتشيك يحدد لنا ثلاثة عناصر : أولها عنصر كونه شيوعيا بن ان اصوله فى التجربة الشيوعية تمتد الى أصول عائلية فقد كان أبوه شيوعيا هاجر الى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩١٧ وانضم الى حزب شيوعى فى احدى ولاياتها ثم عاد الى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٢١ وسافر بعدها الى روسيا حيث عمل هو وعديد من التشيكوسلوفاك فى احدى المزارع الجماعية السوفييتية ، وعند ما عاد الى تشيكوسلوفاكيا كان ابنه الكسندر فى السابعة عشر من عمره . وقد قضى دوبتشيك — الابن — الفترة من ٥٥ — ١٩٥٨ بالمدرسة السياسية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى فى موسكو وقد مكنته هذه الفترة من التعرف على التفكير السوفييتى والمؤسسات السوفييتية وهو ما سيصبح رصيدا له فى تجربة التعامل مع السوفييت . اما العنصر الثانى فيتعلق بمكانته فى الحزب وتاريخه فى التدرج بين كادراته ، فدوبتشيك ليس رجلا جديدا ولا دخيلا على الحزب ، فقد انضم اليه وعمره ١٨ عاما وكان صبيا فى مصانع سكودا ، ثم فى احد مصانع البيرة وشق طريقه السياسى داخل مدينة صغيرة حتى أصبح زعيما للحزب بها عام ١٩٥٢ ، وفى عام ١٩٥٨ أصبح سكرتيرا للحزب فى منطقة براتسلافا وفى عام ١٩٦٣ أصبح سكرتيرا اول للحزب الشيوعى السلوفاكى وان عضوا بهيئة رئاسة الحزب وعضوا فى البرلمان .

اما العنصر الثالث المكون لشخصية دوبتشيك فهو المتعلق باعتباره مواطنا سلوفاكيا وللتعبير عما يعنيه كونه سلوفانيا ما قاله أحد المعلقين الغربيين حين تولى دوبتشيك سكرتارية الحزب " يا الهى ، سلوفاكى يصبح سكرتيرا اول للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ، لابد انهم فقدوا صوابهم " فمما لا شك فيه ان ولاء دوبتشيك للشعب السلوفاكى المعروف باعتزازه بكرامته هو الذى دفعه الى مواجهة نوفتنى من اجل منح سلوفاكيا قدرا من الحكم الذاتى ، غير ان دوبتشيك قد تعدى هذه النظرة الضيقة فمزج قضيته القومية الخاصة بالقضية القومية العامة ورأى مشكلة اقليمه كجزء من مشكلة وانعدام الديموقراطية فى سلوفاكيا هو سيادة الديموقراطية فى تشيكوسلوفاكيا باسرها ، فقد ساعده تاريخه النضالى فى تكوين هذه النظرة فقد حارب عام ١٩٤٤ كشيوعى ضد الالمان وجرح مرتين كما فقد شقيقه ، وفى اواخر الخمسينيات ناضل هو والزعماء السلوفاك ضد نوفتنى من أجل الحصول على نصيب اكبر من الاستثمارات لسلوفاكيا • كما كان لكون دوبتشيك سكرتيرا اول للحزب السلوفاكى معناه بالنسبة للحريات فى التعبير وبالنسبة للحركة الثقافية بوجه عام فى سلوفاكيا فقد كانت براتسلافا عاصمة الاقليم السلوفاكى هى التى خرج منها اول مؤتمر للكتاب عام ١٩٦٣ كان لتاثيره على الحياة السياسية ، كما كانت صحف سلوفاكيا ترتفع بالنقد ضد الاساليب الستالينية والمطالبة بتصفيتها ، وربما يكمن وراء هذا الدور الذى قام به دوبتشيك فى سلوفاكيا معنى تصدره للقيادة على المستوى القومى •

هذه العناصر المكونة لشخصية دوبتشيك والتى تمثل الخلفية التى يصدر عنها دوره الحالى ومنها نستطيع ان نخرج :

- بان تكوينه واصوله الشيوعية لا يمكن ان تلقى ظلالا من الشك حول ولائه للمبادئ الشيوعية •
- ان تدرجه فى السلم الحزبى منذ صباه وتعلمه فى مدرسة اعداد القادة فى موسكو اعطاه حصيلة عند ممارسته للسلطة ومعرفته بالتعامل مع الجهاز الحزبى كما ان تجربته الحزبية فى سلوفاكيا قد مكنته من التعامل مع شخاص يجرؤون على عدم اطاعة الاوامر ، ثم معرفته بطبيعة التفكير سوفيتى ومؤسساته •
- ان كونه سلوفاكيا قد اعطى معنى خاصا للتجربة الجديدة باسرها •

<u>اقصاء نوفتنى عن رئاسة الجمهورية :-</u>

ولم يكن اقصاء نوفتنى عن سكرتارية الحزب كما ذكرنا الا بداية لسلسلة من التغييرات المتوقعة فى جهاز الحزب والدولة ، ففى ٢٢ مارس عام ١٩٦٨ اعلن نوفتنى اعتزاله لرئاسة الجمهورية ،

والتى ظل يتقلدها منذ عام ١٩٥٧ وبناء على توصية اللجنة المركزية للحزب بعث نوفتنى بخطاب الى الجمعية الوطنية بانه اتخذ هذا القرار " بعد دراسة وافية تنبع من الموقف الحالـــــــى فى البلاد وبهدف مساعدة التطور الاشتراكى للمجتمع " وفى ٢٨ مارس عام ١٩٦٨ قبلــــت اللجنة المركزية استقالة نوفتنى كما وافقت على اقتراح د بتشيك ترشيح الجنرال لودفيك سفوبـــودا للرئاســـة .

وقد كان اقصاء نوفتنى عن رئاسة الجمهورية بعد سكرتارية الحزب ايذانا باكتمال دورة التغيير فى القيادة السياسية كما انه لم يكن حدثا سهلا لا بالنسبة للمجتمع التشيكى فحسب بل بالنسبة لنظم الحكم الاشتراكية الاخرى فى شرق اوربا فاسقاط قيادة سياسية تتحكم كافة الصلاحيـــات وتسيطر على جميع اجهزة الجيش والامن الداخلى وتصفيتها بهدوء وبشكل ديموقراطى يجتمـــــت فيه مجموعة من المعارضة أغلبية اللجنة المركزية امر لم يعرفه التاريخ الشيوعى فى بلدان اوروبـــــا الشرقية كما أظهرت مدى ما يمكن ان يمارسه الرأى العام فى مجتمع اشتراكى من ضغوط تذهـــب الى حد التاثير فى تغيير القيادة السياسية غير أن اخطر ما قدمه هذا الحدث هو البرهنــــــة على امكانية اسقاط قيادة سياسية فى احدى بلدان اوروبا الاشتراكية تتمتع بتاييد قادة الكرملين .

مؤتمر درســــدن :ـ

وقد كان من الطبيعى ان يستجيب الاتحاد السوفييتى ونظم اخرى فى اوروبا الشرقية الــــى هذه التطورات فى تشيكوسلوفاكيا فقد اجتمع فى ٢٣ مارس عام ٦٨ اجتماعا فى درسدن بالمانيـــا الديموقراطيـــة ضم سكرتيرى الاحزاب ورؤساء الحكومات فى بلدان اوروبا الاشتراكيــــــــــة فيما عدا رومانيا وقد قرر البيان الذى صدر عن المؤتمر ان " ممثلى الحزب والحكومــــــــة التشيكوسلوفاكية قد ابلغنا المجتمعين عن تطور تطبيق قرارات الاجتماع العام للجنة المركزيـــــة للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى كما عبر عن الثقة فى ان البروليتاريا وجميع الشعب العامــــل تحت قيادة الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى سوف يؤمن التقدم المطرد والبناء الاشتراكـــــى فى البلاد كما قرر البيان " أن اهتماما متزايدا قد أعطى لنشاط القوى العسكرية والنازيـــــــة الجديدة فى المانيا الفيدرالية والخطوات الحديثة لحكومة كيسنجر ـ برانت الموجهة ضد حكومـــة المانيا الديموقراطية واقطارا اشتراكية أخرى كما عبر ممثلى الاحزاب عن اجتماع آرائهم على انـــــه فى الموقف الدولى الراهن فان تدعيم اليقظة يمثل اهمية خاصة بالنسبة لكل الحدود الراهنــــة

والاعمال التخريبية للقوى الامبريالية التى تحاول ممارستها ضد اقطار المجموعة الاشتراكية •

وقد كان هذا المؤتمر من اول المواقف الحرجة التى واجهها دوبتشيك ، فقد كان عليه من ناحية ان يقنع الاحزاب الاخرى التى تملكها الشك من القرارات الاخيرة فى براغ بـأنـه يمسك بزمام الامور فى تشيكوسلوفاكيا وانه لن يطيح بالحزب الشيوعى ومكانته القيادية ، ومن ناحية اخرى فقد كان عليه ايضا ان يكون من التوازن بحيث يثبت للشعب التشيكوسلوفاكى ان الحزب الشيوعى " يمكن حقيقة وصدقا ان يكون حزبا ديموقراطيا " •

كما أظهر الشكل والسرعة التى تم بها المؤتمر مدى القلق الذى تملك حلفاء تشيكوسلوفاكيا من موجة المناقشات الحرة والمناخ الفائر الذى انطلق من براغ والذى اخرج افكارا وقوى لا تنتمى الى قوى تتحرك فى الاطار الاشتراكى بل الى عناصر يبدو عدم التقائها مع الافكار الرئيسية للاشتراكية ، والتخوف من ان هذه الموجه يمكنها ان تعتلى دوبتشيك وقيادته الجديدة وليس العكس ، وقد ظل هذا التخوف هو الذى يحكم تصرفات وفكر المجموعة الاشتراكية طوال مراحل الأزمة حتى بلغت قمتها فى الاجراء العسكرى ، لذلك قصد باجتماع درسدن اساسا ان يكون تذكر ان تجربة تشيكوسلوفاكيا انما تقع تحت الميمن الفاحصة وانه اياما كانت اعتبارات التغيير وضروراته بل وحتميته فان ثمة عوامل خارجية يجب ان تكون فى الاعتبار وان توضع محل التقدير الاول •

غير ان اجتماع درسدن والبيان الذى صدر عنه يمكن ان يقاس بمعايير الآمـال التى ارتفعت بين قطاعات واسعة من الرأى العام فى تشيكوسلوفاكيا ، فبهذه المعايير كان المؤتمر يمثل حدودا قاسيا وحاسمة تجاه هذه الآمال ، فمن الناحية الداخلية فان اقصى ما سمح به المؤتمر هو الموافقة على القرارات التى اتخذها الحزب فى اجتماعه الثالث عشر عام ١٩٦٦ وهو الاجتماع الذى تم والقوى التقليدية فى مراكز النفوذ والسيطرة ، اما فى العلاقات الخارجية فان المؤتمر قد حدد الحـدود التقليدية للسياسة الخارجية التشيكية والتى يجب ان تبقى فى حلف وارسو وان تدابج اى افكار

حول المانية تراتق اعمق مع المانيا الغربية تسمح بمساعدات اقتصادية مع حكومة كيسنجر ، كما انه على تشيكوسلوفاكيا ان تزيد من " يقظتها ضد الاعمال العدوانية والتخريبية للقوى الامبريالية " وقد كان لمثل هذه العبارات عند الرأى العام فى تشيكوسلوفاكيا معانيها بالنسبة للاوضاع الداخلية فى مجتمعه وحدود هذه الاوضاع •

كما انه اذا كان ثمه دلالة رئيسية لمؤتمر درسدن فهى أنه قد حدد الاسلوب الجديد للتعامل السوفييتى مع مشاكل البلدان الاشتراكية ونعنى به الاسلوب الجماعى بدلا من الاسلوب المنفرد الذى ميز شكل التعامل كما بعد منذ ١٢ عاما مع بولندا والمجر وسوف يستمر هذا الاسلوب الجماعى هو أسلوب تناول الازمة التشيكية فى جميع مراحلها •

انتخاب سفوبودا رئيسا للجمهورية :—

فى ٣٠ مارس عام ١٩٦٨ انتخبت الجمعية الوطنية الجنرال لودفيك سفوبودا رئيسا للجمهورية ومنذ تولى الشيوعيين السلطة كان هذا هو الانتخاب الاول الذى تم فيه اختيار رئيس الجمهورية بالاقتراع السرى • وقد كان ترشيح القيادة الجديدة لسفوبودا يتفق مع دقة الموقف والحاجة الى موازنته فقد اريد به ان يمكن الحزب من الاستمرار فى خطه الاصلاحى دون مضايقة الاتحاد السوفييتى فسفوبودا — الذى يحمل ٥٤ وساما من الحلفاء خلال الحرب الثانية يتوجها وسام بطل الاتحاد السوفييتى الذى منح له لتنظيمه وقيادته للواء التشيكى الذى حارب بين صفوف الجيش الاحمر فى الحرب الثانية ، وقد عين — باعتباره سياسيا مستقلا وزيرا للدفاع عام ١٩٤٥ الا انه لم ينضم الى الحزب الشيوعى الا عام ١٩٤٨ وبعد توليه السلطة الا ان سفوبودا كان من العناصر التى شملها التطهير الستالينى عام ١٩٥٠ وكان منذ هذا التاريخ تلفه عباءة النسيان حالاتى احدى المزارع التعاونية حتى اعيد له اعتباره عام ١٩٦٢ بطلب من خروتشيف الذى زامله فى جبهة القتال فى الحرب الثانية ثم عين مديرا فى معهد التاريخ العسكرى •

فسوبودا بهذا الاعتبار يمثل أقل العناصر التى يمكن ان تستثير سخط السوفييت فى هذه المرحلة الا انه فى نفس الوقت لم يكن النموذج الذى يتطلع اليه الشعب التشيكى باعتبار سنه وباعتبار عناصر فى ماضيه وهذا ما يفسر المظاهرات التى قامت عند انتخابه تطالب بتغيير سفوبودا وتعيين سيسمار سيزار المعروف بميوله الليبرالية بدلا منه .

وقد امتدت سلسلة التغييرات فى مناصب الحزب والدولة لتشمل رئيس الوزراء جوزيف لينارت واعادة تشكيل مجلس رئاسة الحزب فقد اوصت اللجنة المركزية فى ٤ ابريل عام ١٩٦٨ بتعيين اولدريخ تشيرنك الذى كان نائبا لرئيس الوزراء — بدلا من جوزيف لينارت كما انتخبت اللجنة المركزية مجلسا جديدا للرئاسة من ١١ عضوا ، وقد خسر ثمانية أعضاء من المجلس القديم مقاعدهم بما فيهم انطونين نوفتنى والذى اقصى بذلك من رئاسة الجبهة الوطنية .

<u>برنامج العمل :—</u>

وفى ٥ ابريل عام ١٩٦٨ تبنت اللجنة المركزية برنامج العمل الجديد ، ورغم ان هذا البرنامج فى حد ذاته لم يكن من العناصر الاساسية التى أثارت الازمة ورغم انه لا يمثل صيغه نهائيه اذ ان مثل هذه الصيغة النهائية لا تصدر الا عن مؤتمرات الحزب العامة وهو ما يتوقع فى مؤتمر الحزب التشيكوسلوفاكى الرابع عشر — الا ان هذا البرنامج نوقش انه يرسم وصف القيادة الجديدة لمرحلة سابقة ولأفكار التى وتحتضنها ذاته يرسم ابعاد افكار هذه القيادة ومفاهيمها ، لذلك سنعرض هنا لبعض الفقرات الدالة والتى توضح العناصر الرئيسية لافكار هذا البرنامج :—

" انه ينبغى ان نطرح الاخطاء والتشويهات التى ارتبطت واسبابها لنستطيع التغلب عليها فى اسرع ما يمكن ولنستطيع تعبئة جميع القوى من اجل احداث تغييرات جذرية فى تكوين حياتنا " .

%

" وان المشاريع والافكار التي تقود نا لم تمن وليد ه الصدفة بل انها تنطلق من التجـــــارب القاسية والباهظة الثمن ، غير ان الوقت قد حان لكي ند خل تحولا جديدا في مجموع حياة الحزب وفي طريق بناء مجتمع جديـــد " .

" ان درجة تطور د ولتنا في بداية الخمسينات وجمود التطور المبدع المعرفة الذي رافـــق عبادة الفرد أدى الى القبول الميكانيكي لتصورات وسياسات تناقض ظروفنا وتقاليدنا ، وأن الاساليـــب المركزية والتوجيه الادارى المستعمل في النضال ضد بقايا البرجوازية وخلال توطيد السلطــــة في ظروف اشتداد حدة التوتر الدولي بعد فبراير عام ١٩٤٨ وقد نقلت هذه الاساليـــــب دون مبرر الى مراحل التطور المقبل وتحولت الى نظام بيروقراطي وبرزت في حياتنا روح الانعزاليــــة واضطهاد الحريات الديمقراطية وخرق حريات الشعب والقوانين وظهرت عناصر الظلم واستغـــلال السلطة بما أدى الى تقلص مبادرات الجماهير وتعرض العديد من المواطنين الشيوعيين وغير الشيوعيين لاضرار قاسية وغير عادلــــه " .

" ان مميزات المرحلة الحاضرة هي انعدام الطبقات المتناقضة وأصبحت السمة المميـــــزة للتطور الداخلي هي عملية تقارب جميع الفئات الاجتماعيـــــة " .

" انه يجب فتح المجال الواسع للمبادرة الاجتماعية والتبادل الصريح للآراء واشاعة الديموقراطية في النظام الاجتماعي والسياسي وان تتاح الامكانية للمواطنين لكي يفكروا ويعبروا عن آرائهـــــم ان الاشتراكية لاتعني فقط التحرر من الاستغلال الطبقي ولكنها تعني ايتاح للمواطنين مجالا لابراز شخصياتهم بشكل اوسع مما هو قائم في النظام البرجوازي "

" ان جهاز امن الدولة هو جهاز هدفه الاساسي حمـــاية الدولة من المراكز المعاديـــة في الخارج وليس من اهدافه ان يتحرى عن الايمان او المعتقدات السياسية والنشـــــاط الشخصي للمواطنين كما ان ليس له اى دور في حل المشاكل السياسية الداخلية ولا في حــــل تناقضات المجتمع الاشتراكـــــي " .

" لقد فهم الدور القيادى للحزب باعتباره احتكارا للسلطات وهذا لا يتطابق الا مع المفهوم الخاطئ الذى يقول ان الحزب هو اداة لديكتاتورية البروليتاريا . وقد اضعف هذا المفهوم الضار مبادرات المؤسسات الحكومية والاقتصادية كما اضعف هيبة الحزب وحال دون ممارسته . فليس من اهداف الحزب ان يكون (مديرا) عالميا او عاما للمجتمع وليس هدفه ان يهيمن على جميع المنظمات والاجهزة وان يحدد كل خطوة فى الحياة باوامره . ان رسالة الحزب يجب ان تكمن فى اثارة المبادرات الاشتراكية والاشارة الى طريق وواقعية تحقيق الافاق الشيوعية عن طريق الاقناع المتواصل والنموذج العملى الذى يقدمه الشيوعيين بتصرفهم الشخصى ".

" ان الجبهة الوطنية والاحزاب السياسية والمنظمات التى تكونها يجب ان تساهم فى وضع سياسة الدولة وان الاحزاب السياسية فى الجبهة الوطنية هى اطراف متساوية "

" انه من اجل صالح تطور مجتمعنا الاشتراكى وفى صالح وحدة شعبنا وثقته فى سياسة الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى لابد من اجراء التغييرات الدستورية الضرورية وهذا يبرز اهمية التنظيم الاشتراكى الفدرالى باعتباره شكلا مجربا ومختبرا جدارته لتعايش الشعوب المتساوية فى الحقوق فى دولة اشتراكية واحدة ".

" اننا نرفض الاساليب الادارية والبيروقراطية لممارسة السياسة الثقافية ونحلل ابتعادنا عنها ويجب ان لا تخضع الاعمال الفنية للرقابة فان لنا الثقة الكاملة بخالقى الثقافة غير ان الحزب فى نفس الوقت لا يمكنه ان يتخلى عن دوره الموحى ومساعيه لان يساهم الانتاج الفنى فى تطوير الانسان الاشتراكى "

" ان الاتجاه الاساسى للسياسة الخارجية لتشيكوسلوفاكيا هو التحالف والتعاون مع الاتحاد السوفييتى وبقية الدول الاشتراكية ونشاطها فى مجلس التعاون الاقتصادى والمتبادل ومعاهدة وارسو . ان سياستنا الخارجية لم تستغل جميع الامكانيات لممارسة النشاط الفعال

ولم تتقدم بمبادرات للتعبير عن المواقف الخاصة تجاه العديد من المسائل الدوليـــة الهامة ، انه يجب تصفية هذه النواقص والحرص الدائم والمستمر على ان تعبر سياستنا الخارجيـــة عن المصالح الوطنية لتشيكوسلوفاكيا "

من هذه المقتطفات من " برنامج العمل " الذى قدمته القيادة التشيكوسلوفاكية الجديـــدة نستطيع ان نخرج بالمعانى الآتيـــة : -

١ - ان برنامج الحزب يعتبر ان الاساليب التى كانت تتلاءم مع ابيئة المرحلة الاولـــى فى البناء الاشتراكى لم تعد تتفق مع ظروف تطور البناء الاشتراكى فى مراحلـــة المتقدمة ، وان استمرار هذه الاساليب قد احدث تشويها فى البناء السياســـى والاقتصادى والفكرى للامة بما يستلزم تغييرا جذريا فى هذه الاساليب .

٢ - ان البرنامج يعتبر ان النظام الاقتصادى الجديد الذى أعلن فى ينايـــــر ١٩٦٥ يمثل الاسلوب الامثل فى ادارة الاقتصاد وتطويره .

٣ - كما يعتبر انه للتغلب على التشويهات التى احدثتها الاساليب القديمة فى العلاقات الاجتماعية والانسانية والثقافية فانه يجب اتاحة الفرصة لكافة المواطنين للتعبيـــر عن آرائهم بحرية كاملة وكفالة الحقوق الشخصية .

٤ - ان البرنامج يقدم تصورا جديدا للحزب ولدوره فى المجتمع وكذا لدور الاحـــزاب السياسية التى تشكل الجبهة الوطنية ، فهو لا يعطى للحزب الصورة المطلقـــة التى كانت له باعتباره " مديرا " لكافة اوجه الحياة فى البلاد بل يجعل نفســـه مؤشرا بالمبادرات الخلاقة ويجعل للمؤسسات والمنظمات والادارات مسئولياتهـــا الخاصة بها ، ومن ناحية آخرى فهو يرقى بكيان الاحزاب الاخرى الى مستـــوى المسئولية والمشاركة فى الحياة السياسية جنبا الى جنب مع الحزب الشيوعـــى

غير انه لايعنى بذلك قيام صوره تقليدية من حزب حاكم وحزب معارض ولكنه يحدد وضعهـــــا فى الاطار الاشتراكى ، ثم يطالب بصفة صراع الطبقات من المرحلة التى بلغتها المجتمع التشيكوسلوفاكى ويتجاوز عن مبدأ خطير فى النظرية والتطبيق الماركسى فينفى ان الحزب هو اداه لديكتاتوريـــــة البروليتاريا

وفى السياسة الخارجية ورغم اقراره بان الخط الاساسى للسياسة الخارجية التشيكية هـــــو التحالف مع الاتحاد السوفييتى الا انه يشير الى وجوب التعبير عن " المبادرات الخاصـــة " و " المواقف الخاصة ازاء العديد من المشاكل الدولية " والحرص على ان تعبر السياســـــة الخارجية عن " المصالح الوطنية "

....

صاحب صدور برنامج العمل تصاعد فى ظهور اتجاهات وافكار تتراوح ما بين الاعتــدال والتطرف ، من النماذج المعتدلة فى التعبير عن تأكيد الذات الاشتراكية التشيكوسلوفاكيــــــة ما صدر عن جريدة " رود ى برافو " جريدة الحزب الرسمية من انه " من الحق الذى لاينكـــــر لكل حزب شيوعى ان يقرر لنفسه اى الاشكال التى يجب اختيارها لتحقيق الاشتراكية فى وطنه كما انه ليس لحزب ما ان يملى على حزب آخر واجبه الوطنى ، وان النقل الحرفى للتطبيقات الاشتراكية فى بلدان آخرى لهى عملية خاسرة لمصالح الاشتراكية كما انه ليس هناك نموذج للاشتراكيـــــة العالمية يمكن ان يكون مقبولا للجميـــع ".

ومن النماذج المتطرفة التى صدرت ما كتبته مجلة " ليترارنى ليستى " وهى مجلة اتحـــاد الكتاب (اننا نتوجه لجميع المواطنين والحكومة والصحافة والراديو والتليفزيون لتعيين اللجـــــــان التحضيرية العاملة من اجل احياء حزب الاشتراكية الديموقراطية (وهو الحزب الذى سبـــــق ان قاد الحركة المضادة للاشتراكية عام ١٩٤٨ وحل) لكى يشارك فى الحياة السياسية للبلاد "

بالاضافة الى ماعبرت عنه الصحافة فقد بدأت جماعات من المعروفين بعدائهم للنظام الاشتراكي في الظهور وفي تنظيم صفوفهم في جماعات وتكتلات وكان من ابرزها ماعرف بنادي ٢٣١ والذي يضم حوالى ٣٥٠٠ من المسجونين السياسيين القدامى والذين أدينوا بموجب المادة ٢٣١ من قانون حماية أمن الدولة في اوائل الخمسينات والذين قدروا بـ ٤٠ الف شخص ، وكان من اهداف النادي ان يعمل من اجل المزيد من الحريات الشخصية في الدستور الجديد ، كما قيل ان هذا النادي قد تشكل واجتمع بموافقة وزارة الداخلية واللجنة المركزية للحزب الشيوعي .

كما عبرت فئات من الكتاب والفنانين عن وجهات نظرها فيما اسمي ببيان الالفي كلمه والذي نشرته معظم الصحف ومما فيه " ان الخطأ الخطابي للزعامة قد حول الحزب من حزب عقائدي الى منظمة قوية للحكم الى حد ان البرلمان لم يعد يعرف كيف يناقش المشكلات ولم تعد الحكومة تعرف كيف تحكم ولا المديرون كيف يديرون المصانع " .

ولم يكن هذا البيان مجرد ظاهرة منفصلة بل كان في الواقع جزء من نشاط متزايد للاجنحة اليمينية المتطرفة ولعناصر كثيرة معادية للثورة ، وقد وصفت جريدة برافدا السوفيتية هذا البيان " بانه المنصة التي تتحدث منفوقها القوى الموجودة في تشيكوسلوفاكيا وخارجها والتي تحاول تحت شعار الحديث عن الديموقراطية والتحرر تلطيخ تاريخ تشيكوسلوفاكيا كله منذ عام ١٩٤٨ وان تشوه مكاسب الشعب العامل والحزب الشيوعي ودوره وان تقوض صداقة الشعب التشيكي مع شعوب الدول الاشتراكية وان تمهد الطريق للثورة المضادة " .

كما انتهزت العناصر المشبوهة ومن اهمها العناصر الصهيونية الموقف وبدأت تستغله لصالحهـا .

رسالة دول حلف وارسو في ١٥ مايو ١٩٦٨

وقد عكست الرسالة التي وجهتها بلدان حلف وارسو ـ فيما عدا رومانيا ـ الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ، روح القلق التي تملكت هذه الاحزاب من التطورات

التي جرت في تشيكوسلوفاكيا بعد مؤتمر درسدن تقول الرسالة :

" نحن في اشد القلق لما يحدث من تطورات في بلادكم ، فقد اصبحت الهجمات التي شنتها قوات الرجعية لمساعدة قوات الامبريالية ضد حزبكم وضد صرح النظام الاشتراكي القائم في تشيكوسلوفاكيا تهدد حسب اعتقادنا بانتزاع بلادكم من طريق الاشتراكية وهو ما يشكل خطرا على مصالح النظام الاشتراكي في مجموعه "

" ونحن نريد ان لا تسيئوا فهم وتفسير غرضنا : لم يكن لدينا وما زال ليس لدينا النية في التدخل في شئون تعد من صميم الشئون الداخلية لحزبكم وحكومتكم ولا في خرق مبدأ الاستقلال والمساواة الذي قامت عليه الدول الاشتراكية " .

" ولكننا في الوقت ذاته لا يمكننا ان نقبل ان تقود قوات اجنبية بلادكم خارج طريق الاشتراكية وتعرض بذلك تشيكوسلوفاكيا لخطر انفصالها عن الجماعة الاشتراكية . مثل هذا الامر ليس من اختصاصكم وحدكم بل ان المشكلة من صميم اختصاص جميع الاحزاب الشيوعية والعمالية في جميع الدول التي ترتبط بينها علاقات التعاون والصداقة — ان المشكلة تخص جميع الدول التي تجمع بينهم معاهدة حلف وارسو .. " .

" اننا لن نقبل ابدا ان تحدث الامبريالية ثغرة في الصرح الاشتراكي سواء تم ذلك بالوسائل السلمية او غيرها وسواء تم ذلك من الداخل او من الخارج وان تنجح في احداث تغيير في توازن القوى في اوروبا " .

" ان العدوان على الاطاحة بالدور القيادي الذي يقوم به الحزب الشيوعي يؤدي الى تصفية النظام الاشتراكي والديموقراطية الاشتراكية ولذلك تصبح قاعدة نظامنا مهددة وكذلك حال الامن في بلادنا جميعا " .

" اننا نعتقد ان الوضع الذي اصبحت عليه تشيكوسلوفاكيا اليوم يهدد في اطار البنيان الاشتراكي في هذه الدولة ويهدد المصالح المشتركة الاساسية التي توجد بينها وبين باقي الدول

الاشتراكية . ان شعوبنا لن تغفر لنا موقف عدم المبالاة والاهمال تجاه هذا الخطر القائم ".

من هذه الرسالة نستطيع ان نخرج بالدلالات الاتيـــة :ـ

١ ـ ان التطورات التى تجرى فى تشيكوسلوفاكيا [illegible] فى نظر الحلف تهديد لمكانـة الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى [illegible] المجتمع ومن ثم فهى تهديد لبنيان النظام الاشتراكى ذاتـه .

٢ ـ ان دول الحلف لا تصدر فى موقفها عن رغبة فى التدخل فى شئون تشيكوسلوفاكيـا الداخلية او عن اعتراض على اساليب معينة فى العمل او على عناصر يريد الحزب ادخالها لدعم التطبيق الاشتراكى فهذا من شئونه الداخليـة .

٣ ـ غير انه يتوازى مع ذلك ان التطورات بالشكل الذى تحدث به فى تشيكوسلوفاكيـا وللترابط العضوى القائم بين تشيكوسلوفاكيا ونظامها الاشتراكى وبقية نظم العائلة الاشتراكية ، فان هذه التطورات لم تعد تشكل امرا يخص تشيكوسلوفاكيا وحدهـا ولا حزبها وحده ولكنها تمس كافة الاقطار الاشتراكية مجتمعه " .

رد تشيكوسلوفاكيـــا :ـ

اثارت رسالة بلدان حلف وارسو عددا من الاتجاهات فى تشيكوسلوفاكيا حول تقييم الرسـالة واسلوب الرد عليها ، فقد اعتبرتها بعض العناصر تدخلا فى شئون تشيكوسلوفاكيـا الداخلية ورأت ان يكون الرد على هذا الاساس ، واعتبرها بعضها امرا لا يمكـن قبوله وطالبت برفضها ، اما فريق ثالث فهو الذى حاول ان يقيم الرسالة من خلال الواقـع الفعلى وان يرد على النقاط التى اثارتها وقد تزعم هذا الفريق سفوبودا حيـث نجح فى صياغة رد متوازن جاء فيـه :

"ان عددا كبيرا من النقاط التى احتوتها الرسالة تداورتها قرار اللجنـة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى الذى صدر عقب اجتماعه المنعقد فى مايو عـام ٦٨

ولكن رغما عن ذلك نرى ان الاسباب التى أدت الى الوضع الحالى ترجع قبل كل شيء الى تراكم فى التناقضات دام لعدة سنوات حتى انعقاد [illegible] اللجنة المركزية للحزب فى شهر يناير عام ١٩٦٨ وعلى اى حال فان مثل هذه التناقضات لا يمكن ان تحل بطريقة مرضية فى فترة قصيرة . لهذا كان لابد ان تنشأ [illegible] تلازم التيار الجماهيرى الواسع النطاق وهو يقوم بنشاط ابتداعى [illegible] بجانب حزبنا ، وأن تجد بعض رواسب القوى المعادية للاشتراكية [illegible] من استغلاله فى هذه الاتجاهات وان ينمو فى نفس الوقت نشاط القوى المعادية [illegible] التى ربطت نفسها بعضد خارجى ، ويرجع السبب اساسا الى ان ادارة الحزب [illegible] خلال سنوات عديدة تطبيق " المركزية البيروقراطية " فى حين كانت تصادر [illegible] الديمقراطية الداخلية " .

" وقد اعلن حزبنا أيضا بالاجماع انه سيدافع بكافة الوسائل الممكنة للدفاع عن النظام الاشتراكى فى حالة نشوب حالة تهدد الاشتراكية [illegible] نحن اذن نقدر بانفسنا احتمال وقوع مثل هذا الخطر كما ندرك ان احزاب الدول الاشتراكية الشقيقة لا يمكنهم ان يتقبلوا الى هذا الوضع بعدم مبالاة .

" ولكننا لانجد اسبابا حقيقية تسمح بوصف الحالة الحاضرة فى بلادنا بانها مضادة للثورة — او بالتأكيد على ان قواعد النظام الاشتراكى مهددة ، او بوجود مشروع فى احداث تغيير فى اتجاه سياستنا الخارجية وان حزبنا مهدد [illegible] بالانفصال عن بقية الجماعة الاشتراكية " .

ان خطابى دول حلف وارسو ورد تشيكوسلوفاكيا [illegible] أهمية خاصة فى الازمة ومراحلها لانهما يقدمان تصور كل طرف لطبيعة التطورات وحدودها :

فثمة اتفاقا من الطرفين حول ان هناك نشاطا من جانب قوى معادية تعمل للنيل من مكانة الحزب ودوره ، الا ان الاختلاف يظهر حول تقدير كلا الطرفين لحجم هذه القوى الحقيقى ومدى الخطر الذى تمثله واسلوب مواجهتها .

فدول حلف وارسو تعتبر ان نشاط هذه القوى تهديد مباشر للكيان الاشتراكي نفســـه يستدعي المواجهة الحاسمة من القيادة التشيكية . اما هذه القيادة فهي ترى ان بروز هـــذه القوى والتناقضات التي اثارتها هي من ابجدية المرحلة التي يمر بها التطور التشيكي وهي لـــم تظهر من فراغ بل هي نتيجة لاخطاء القيادة السابقة وتراكم هذه الاخطاء . كما انه الى جانـــب انها لاترى في هذه القوى ما يمثل تهديدا جادا للقواعد الاشتراكية . تعتقد ان اسلـــوب مواجهتها ليس هو القهر والاساليب الادارية وقد ضمنت القيادة التشيكية في هذا الصـــدد بعض فقرات من برنامج العمل والتي اعلنت فيه تصورها لدور الحزب واساليبه التي يجب ان تعتمـــد على الاقناع وجاذبية المبادئ " .

اجتماع سيرنا ومؤتمر براتســلافا :

وكان الرد التشيكوسلوفاكي على رسالة دول حلف وارسو قد اقترح تجـــــاوز اسلوب تبادل الخطابات والرسائل الى عقد اجتماعات ثنائية لتدارس الموقف " وللاتفـــاق على الاجراءات الفعالة التي تكفل مواصلة التعاون والصداقة " .

وعلى هذا الاساس عقد في "سيرنا " على الحدود التشيكية اجتماع ضم رئاسة اللجنـــة المركزية للحزبين التشيكي والسوفييتي واتفق فيه على العناصر الاتيـــة :-

١ - حق تشيكوسلوفاكيا ، حزبا ودولة ، في اتخاذ اجراءات التغيير التي تراها ضروريـــة لتدعيم التطبيق الاشتراكي وتعميق الديموقراطية الاشتراكية مع المحافظة على قـــوة وكيان الحزب من ناحية والمصالح المشتركة للاسرة الاشتراكية وامنها من ناحيـــة اخرى .

٢ - اعتبار ان ظروف التغيير قد ولدت نوعان من الخطر على نفس الدرجـــة من الاهمية ، وهما خطر البيروقراطية الجامدة من ناحية ، وخطر الحركة المعاديـــة للاشتراكية التي تعتمد على قوى داخلية من رواسب الطبقات الرأسمالية ومثقفيهـــا ومساعدات عن طريق المانيا الغربية من ناحية اخرى .

٣ — عقد مؤتمر جماعي تشترك فيه كل دول حلف وارسو لتأكيد الالتزام الجماعي بهذه الخطوط •

وقد انعقد هذا المؤتمر بالفعل في ٣ اغسطس ١٩٦٨ في مدينة براتسلافا بتشيكوسلوفاكيا حيث امكن التوصل الى خطة جماعية ومسئوليات محدده على كل دوله بالنسبة لامن الاسرة الاشتراكية وتأكيد الارتباطات والتحالفات فيما بين اعضائها •

التدخـــل :—

غير ان الموقف في تشيكوسلوفاكيا ظل يتطور في نفس الظروف التي اثارت قلق دول حلف وارسو وعبرت عنها في رسائلها واجتماعاتها مع القادة التشيكوسلوفاك ، كما بدأت صحف هذه الدول وتعليقاتها تعبر عن استمرار هذه المخاوف وترى ان التطور الموضوعي في تشيكوسلوفاكيا لا يوحي بتاتا بأي التزام من القيادة التشيكية لتطبيق او احترام ما اتفق عليه في اجتماع سيرنا ومؤتمر براتسلافا واكد هذه الشكوك استمرار حملات الصحافة التشيكوسلوفاكية على عناصر جوهرية في العلاقات مع الاتحاد السوفييتي وبلدان حلف وارسو — كما بدأت تثير نقاط حساسة مثل علاقة المخابرات السوفييتية بمقتل جان مازاريك وزير خارجية تشيكوسلوفاكيا لما قبل الانقلاب الشيوعي مما اندفعت في مهاجمة الاتحاد السوفييتي لتعريض صحفه بالزعم التشيكي توماس مازاريك •

وفي ضوء هذا التوتر المستمر والضغط من جانب بعض دول حلف وارسو وبشكل خاص المانيا الشرقية التي ظلت تردد القيادة السوفييتية الى " ان الوقت في صالح اعداء الاشتراكية والعالم الاشتراكي " في ضوء هذه الظروف جرى التدخل العسكري الذي تم في ٢١ اغسطس عام ١٩٦٨ وخولت وكالة تاس السوفييتية ان تعلن " ان الوحدات المسلحة السوفييتية جنبا الى جنب مع وحدات المسلحة لجمهوريات بلغاريا والمجر وبولندا والمانيا الديموقراطية قد دخلت اراضي تشيكوسلوفاكيا يوم ٢١ اغسطس وسوف تنسحب فورا من جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية بمجرد ان تتأكد من زوال التهديد للمكاسب الاشتراكية في تشيكوسلوفاكيا والتهديد لامن مجموعة البلاد الاشتراكية وبمجرد ان تجد السلطات الشرعية ان وجود هذه الوحدات المسلحة لم يعد ضروريا " •

التحليـــــــل :ـ

سنتناول في هذا الفصـــــل :ـ

ـ تقييما لدواعي الاجراء العسكري لدول حلف وارســــو

ـ تأثيرات هذا الاجراء على العلاقات الدولية فيما يتصل بسياسة الوفاق بيـــــن الشرق والغرب وباسلوب التعايش السلمـــــي .

ـ تأثيراتها على العلاقات الثنائية والجماعية بين أطار المعسكر الاشتراكي والاحزاب الشيوعية غير الحاكمة في اوروبا الغربيـــة .

تقييم التدخل العسكـــري :ـ

كان من الواضح ان الاتحاد السوفيتي يصدر في تناوله للازمة منذ ان بدت بوادرهـــــا في يناير عام ١٩٦٨ عن رؤيا خاصة لطبيعة الاحداث وتطورها ، ونقطة بداية هذا التصور هي اعتقاده أن اساليب القيادة الجديدة في تشيكوسلوفاكيا قد ابرزت عناصر وقوى معادية ومهددة لمكانـــــة الحزب الشيوعي ومن ثم للنظام الاشتراكي كله ، وأن هذه القوى رغم ما تدعيه من عدم مساسهـــــا باسس النظام الاشتراكي كان هدفها النهائي هو الانحراف بتشيكوسلوفاكيا عن النظام الاشتراكـــي وفك ارتباطاتها وتحالفاتها مع المجموعة الاشتراكية ، ويرى السوفييت ان العنصر الاساســـــي الذي ساعد هذه القوى كان اطلاق حريات الصحافة واجهزة الاعلام وجعلها منابر تعبر منهـــــا هذه القوى عن اتجاهاتها .

الواقع ان نقطة اطلاق حريات التعبير كانت من بين نقاط الخلاف الرئيسية ، فقــــد رأت القيادة السوفيتية ان تنهي التاريخ الطويل للرقابة على أجهزة الاعلام ورأت في اطـــلاق حريات التعبير احد العناصر الرئيسية في اضفاء الطابع الديموقراطي على النظام الاشتراكـــــي وانهاء اساليب الكبت التي شوهت صورة النظام واضعفت من روابطه بالمجتمع . اما الاتحــــاد السوفييتي فقد قدر الموقف من زاوية آخرى ، فقد رأى في اطلاق حريات التعبير بهذا الشكـــل امكان تحقق احتمالات خطيرة . فالاراء المعادية التي سيتاح لها التعبير عن نفســــــا

من الطبيعى انها لن تكتفى بمرحلة التعبير بل ستعمد الى أن تعبر عن نفسها فى شكل تنظيمات سياسية تناهض الحزب الشيوعى وقد تنجح بطريق او بآخر فى القفز الى السلطة وتنحيه الحزب الشيوعى ، فالاتحاد السوفييتى لم ينظر الى هذه الاوضاع فى اطارها الراهن بل يراها فيما يمكن ان تتطور عنه ، فمع اعتقاد السوفييت فيما يعلنه القادة التشيك من انهم لن يسمحوا بقيام تنظيمات سياسية مناهضة للحزب الشيوعى الا ان السوفييت يرون ان الموقف فى عمليات تطوره السريعة والمفاجئة قد تكون اقوى من امكانية السيطرة عليه حيث يمكن أن يفرض واقعا تجد القيادة الاشتراكية نفسها مواجهة به •

ومما زاد من تشكك السوفييت من امكانية قلب النظام الاشتراكى من الداخل بواسطة قوى ومجموعات تتمكن من تدعيم نفسها ، هو ادراكه للاسلوب الجديد الذى بدأ الغرب يتبناه منذ بداية الستينات من اجل اجتذاب دول اوروبا الشرقية ، فبدلا من اسلوب الانقلاب العنيف والذى ثبت عدم جدواه من تجربة بولندا والمجر عام ١٩٥٦ حيث اتاح للسوفييت فرصة التدخل والرد العنيف ، بدأ الغرب يتبع اسلوبا اكثر هدوءا وهو ان كان يتسم بالتأثير البطىء الى انه تأثير نافذ وفعال فى المدى الطويل ، وهذا الاسلوب يعتمد يعتمد على النفاذ الى هياكل هذه الاقطار وبنياتها الاقتصادية والثقافية والفكرية وبث عناصر التحول فيها ، عرف الرئيس السابق جونسون هذا الاسلوب بانه اقامة الجسور مع هذه الاقطار ، والجسور تعنى العلاقات الاقتصادية والثقافية والتى يمكن من خلالها احداث تكيفات جزئية فى سياسات هذه البلدان تجاه الغرب ، وعرفها خبير فى شئون هذه البلدان هو " وفيجنيف بجرنفسكى " بانها تقوم على أساس تحريك العناصر الليبرالية فى هذه البلدان وتشجيعها لاستغلال الثغرات فى الانظمة القائمة فى النظم الاشتراكية ، وعرفها (ادوارد كرانكشو " بانها تقوم على نقل القيم والافكار والمثل الغربية الى مجتمعات اوروبا الشرقية من خلال انفتاح هذه المجتمعات على الغرب •

%

واحتمالات التطور الذى تنتهى به مثل هذه الاساليب والتهاون معها لهو ايضا فى بلد كتشيكوسلوفاكيا لمكانته الاستراتيجية وعناصر اخرى تجعل منه ذا وضع حساس ومؤثر فى صميم امن كيان الاتحاد السوفييتى والمجموعة الاشتراكية ٠

فرغم التطور الذى حدث فى نوعيه التسلح فان تشيكوسلوفاكيا لم تفقد موقعها الاستراتيجى حيث تقع فى قلب اوروبا الشرقية بحدود مشتركة مع المانيا الشرقية وبولندا والمجر والاتحاد السوفييتى كما ان حدودها الغربية التى تلاصق المانيا الغربية تمثل اكثر المواقع حساسية فى قلب اوروبا ٠ فالذى يسيطر على المنطقة التى تمتد على اول جبال بوهيميا يستطيع ان يوجه ضربة الى الجناح الغربى لحلف الاطلنطى وشل حركته ٠ ومن ناحية اخرى فان التحكم فيها من جانب الغرب تمكنه من توجيه ضربتها مباشرة الى الاتحاد السوفييتى من خلال اكتساحه لبولندا ٠

هذا بالاضافة الى ان تشيكوسلوفاكيا هى مصنع السلاح للكتلة الشرقية واحد المراكز الصناعية الرئيسية ٠

والى جانب هذا الاعتبار المباشر المتعلق بالامن والبعد الاستراتيجى هناك بعد لاعتبار الانعكاسات التى يمكن ان تتركها استمرار التجربة الاشتراكية بالابعاد التى اخذتها على النظم الاخرى فى شرق اوروبا ٠ وليس غريبا ان تكون الدول التى شاركت الاتحاد السوفييتى فى افضواح الازمة هى النظم التى تحوى فى احشائها بذور تحولات مماثلة لما جرى فى تشيكوسلوفاكيا فلم تمض بعد القلاقل والاضطرابات التى تعرض لها النظام فى بولندا خلال عام ١٩٦٧ والتى حركتها عناصر مماثلة لتلك التى ظهرت فى تشيكوسلوفاكيا ٠ كما كان النظام فى المانيا الشرقية دائم الشكوى والتخوف من اذيبة التحولات التى بدأت فى تشيكوسلوفاكيا منذ اوائل الستينات كما كان اكثر الاطراف تحمسا للتدخل العسكرى ٠ ومما يزيد من الاثر التى يمكن ان تتركه تجربة تشيكوسلوفاكيا الشكل الفريد والديموقراطى التى تمت به التغييرات فى القيادة التشيكية كل هذا اغراء لاشك فيه لعناصر التحول الكامنة فى النظم الاشتراكية الاخرى ٠

تأثير التدخل السوفييتي على العلاقات الدولية :ـ

كانت بدايات الستينات ايذانا بمرحلة جديدة من العلاقات بين الشرق والغرب اخذت تتبلور الى ما أصبح يعرف بسياسة الوفاق ، وربما كانت بذور هذه السياسة ترجع الى زيارة خروتشوف للولايات المتحدة عام ١٩٥٩ ، وهى الزيارة التى قيل ان الزعيم السوفييتى قد تأثر خلالها بما شاهده من انجازات الحضارة التكنولوجية الامريكية وهى الصورة التى نقلها الى رفاقه فى القيادة السوفييتية ، كما يمكن ان ترجع الى التقاء كل من خروتشوف والرئيس الامريكى الراحل جون كيندى فى فينا عام ١٩٦١ • غير ان الحدث الذى ازن حقيقة بمبدأ سياسة الوفاق تمثل فى أزمة الكاريبى عام ١٩٦٢ وهى الازمة ، التى حددت المعالم الواقعية فى علاقات الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وقربت الى الادراك وهما فى قمة المواجهة النووية طبيعة العناصر التى تحكم علاقاتهما وسياسة مناطق النفوذ •

ولم يكن غريبا ان يتلو أحداث كوبا وما تمخضت عنه ، توقيع معاهدة الحظر الجزئى للتجارب الذرية عام ١٩٦٣ والتى كانت نقطة تحول بارزة فى تاريخ الحرب الباردة التقليدية • ومنذ هذا التاريخ والعلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى تشهد مزيدا من عناصر التقارب التى لم تكن نتيجة لعناصر خارجية تفرض نفسها بل نتيجة مبادرات مقصودة من جانب القوتين • فبعد اتفاقية الحظر الجزئى للتجارب الذرية بدأ التفاوض حول اتفاقية الطيران التى كان مغزاها يتعدى الجانب المادى لها من حيث فتح خطوط طيران مباشرة بين موسكو وواشنطون ، ثم الى توقيع اتفاقية الاستخدام السلمى للفضاء الخارجى ، والاتفاقية القنصلية • ولم يقتصر تأثير الوفاق على الاتحاد السوفييتى فحسب بل تعداه ليشمل تغيير فى مواقف تقليدية للولايات المتحدة تجاه بلدان شرق اوروبا برفع الحظر عن تصدير بعض السلع الاستراتيجية الى هذه البلدان وتعديل شروط التبادل التجارى معها والاعراب عن الاستعداد فى تقديم قروض وتموين الاتجار معها •

%

ورغم قيام مشكلة رئيسية بين القوتين كمشكلة فيتنام كان من شأنها ان تمنع الاتحاد السوفييتي من الاقدام على خطوات بارزة توحى بتقارب سوفييتي امريكي جوهري ، وبالرغم من الاشارات التى تثيرها الصين حول موقف الاتحاد السوفييتي من هذه المشكلة والتشكك فى اخلاصه لقضية الثورة العالمية ، بالرغم من هذا فان الاتحاد السوفييتي فى اطار سياسة الوفاق القائمة ورغبة فى الاستمرار فيها ، كان حريصا على حل المشكلة حلا سلميا ، ما التزم منذ البداية بعدم الدخول فى مجابهة عسكرية مباشرة مع الولايات المتحدة مما جعل مساعداته لفيتنام فى حدود واضحا فى الاعتبار ان يكون فى امكانه العمل على منع انتشار الحرب خارج حدود فيتنام مما يهدد بتحولها الى حرب شاملة ، ومن ناحية الولايات المتحدة ، كانت نظرتها الى وضع المشكلة الفيتنامية وطبيعة ارتباط الاتحاد السوفييتي يجعلها تدرك حرج الموقف السوفييتي بالنسبة لالتزاماته داخل الكتلة الاشتراكية ومكانته فيها ، ولذلك كانت الولايات المتحدة تتقبل بروح من التفاهم التصريحات السوفييتية العنيفة احيانا والمهاجمة للولايات المتحدة وتطلبها تنفيذ كثير من جوانب سياسة الوفاق على وقف العدوان الامريكي على فيتنام .

والواقع ان تحليلنا لسياسة الوفاق ودوافعها تجعلنا ندرك انها تصدر من اعتبارات اعمق من ان تكون اعتبارات تتعلق باشخاص معينين بل هى محكومة باعتبارات اكثر تعقيدا تذهب الى التغير الشامل الذى جرى فى عناصر الحرب والتأثيرات التى تحملها ، والى بروز عنصر جديد فى القوى الدولية ، ثم الى احتياجات الوضع الداخلى الذى يحتاج الى تطوير وترشيد كثير من جوانبه .

فاذا كنا نعتبر ان عنصر التوازن النووى هو العنصر الحاسم فى حرص القوتين على سياسة الوفاق واستمرارها ، فان ثمة اعتبارات اخرى - والتى يمكن ان تكون اكثر الحاحا بالنسبة للاتحاد السوفييتي - فالخلاف مع الصين الذى اصبح امرا حتميا ، وتضخم الخطر الصينى المجاور تضخما يهدد مناطق كثيرة من المناطق الاسيوية فى الاتحاد السوفييتي ثم حيازة الصين

للاسلحة النووية وتوصلها الى الصواريخ التي تحملها ، هي من العناصر الهامة التي حكمت اتجاه الاتحاد السوفييتي في التقارب مع الغرب ، اما من الناحية الداخلية فان التطور الداخلي في الاتحاد السوفييتي يفرض على القادة السوفييت ضرورة حل المفارقة التي تقوم بين وصول الاتحاد الى مركز احد أقوى دولتين في العالم وتقدمها الملحوظ في ميادين غزو الفضاء والتسلح والعلوم وبين تخلف الاحوال المعيشية وتخلف انتاجه الصناعي والمدني بالنسبة للمستويات الغربية والتي أصبح المواطن السوفييتي يشعر بها بطريق او آخر ، ويزيد من حدة هذه المفارقة بالنسبة للسوفييت تأثيرها على ثقة المواطن السوفييتي في النظام الاشتراكي باعتبار انه يعده بمستوى اكثر رقيا عما تقدمه النظام الرأسمالية ، وكذلك تأثير النموذج الذي يقدمه المجتمع السوفييتي الى المجتمعات الاخرى وجاذبيته بالنسبة لقطاعات العمال والطبقة المتوسطة في بلدان الغرب الراسمالي .

كل هذا يجعل من الاهداف الرئيسية للقادة السوفييت الارتفاع بمستويات الحياة اليومية المادية لمجتمعهم وتوفير العناصر التي غابت طويلا عنه والتي تتمثل في وفرة السلعة الاستهلاكية فضلا عن مستواها النوعي ، غير ان تحقيق هذا الهدف ربما لايتأتى الا بالاتصال المباشر بالمستويات التكنولوجية الغربية للاستفادة من التطورات الضخمة التي حققتها في مجال التصنيع ، وكذلك لكسب أسواق لسلعه والحصول على عملات صعبة يتمكن بها من شراء واستيراد السلع الغربية اللازمة لتطور صناعاته كالمواد الكيمارية والمعدات والالات الحديثة .

هذه العلاقات تتطلب وجود مناخ ودي وتوافق مع الغرب يضمن تطويرها واستمرارها بشكل ثابت ومؤمن .

قد تكون هذه الاعتبارات هي التي ربطت السوفييت بسياسة الوفاق مع الغرب ودفعتهم الى ان يقدموا له وجها مخالفا للوجه التقليدي الذي عرف عن الاتحاد السوفييتي ابان حكم ستالين والحرب الباردة ، والى ان يقدموا على مزج التعايش السلمي اكثر من مبدأ كان يثير فخر ستالين ومجده وان يطوعوا الماركسية اللينية في بعض جوانبها التقليدية لكي تتفق ومتطلبات

الوفاق سواء كانت تتعلق بعلاقاتهم مع الغرب الرأسمالي ، ام في داخل المجتمع السوفييتي نفسه ام مع اقطار المعسكر الاشتراكي او مع بلدان العالم الثالث واقامة الحكم الجديدة فيه وحتى تجاه الاحزاب الشيوعية في بلدان الغرب الرأسمالية .

وقد دفع هذا الغرب الى أن يتصور ان الوجه العابس المتشدد الذي عرف عن الاتحاد السوفييتي قد تلاشت معالمه او محت وان التصرفات السوفييتية اصبحت تتسم تدريجيا بالتعقل والثبات وطول النفس الى جوار انها اصبحت تصرفات قوى من القوى التقليدية ان لم تكن تقدم اعتبارات مصالحها كقوة كبرى فانها على الاقل تقيم توازنا مع هذه الاعتبارات وبين ارتباطاتها ومسئولياتها الايدولوجية وتجاه قيمة من أهم قيم هذه الايدلوجية وهى الثورة العالمية .

وقد كانت دول منظمة حلف شمال الاطلنطي من اكثر الجوانب التى مست سياسات الغرب التى تأثرت بأسلوب الاتحاد السوفييتي الجديد ، فقد ارتبط بهذا الاسلوب ظهور انطباع لدى الغربيين بالاتحاد السوفييتي لم يعد له نوايا عدوانية بحيث أصبح من المتوقع ان تتنفس دولتان او اكثر اثر فرنسا وتنسحب من الحلف عام ١٩٦٩ وهو العام الذى يمكن لاى دولة ان تنسحب فيه من الحلف ، كما ان دولا فى اوروبا بدأت تفكر فى انتهاج سياسة الحياد وقد شمل هذا الاثر على استعدادات الحلف وامكانياته بحيث أصبح على وشك التفكك ، فقد زاد الاتجاه من اعضائه على سحب قواتهم منه فسحبت الولايات المتحدة ـ بسبب الحرب الفيتنامية ٣٥ الف جندى وسحبت بريطانيا ٥ آلاف جندى ولم يبق لالمانيا فى الحلف سوى فرقتين غير كاملتى التكوين كما بدأت بلجيكا وهولندا فى التخطيط لتخفيض عدد قوات جيشها .

غير ان الاجراء العسكرى السوفييتي فى تشيكوسلوفاكيا جاء ليعدل من الموقف تماما ويعكس الصوره التى انطبعت عن الاتحاد السوفييتي فى الحقبة الماضية ، فقد قضى هذا الاجراء على الافتراضات التى بدأت تتكون حول طبيعة التصرفات والنوايا السوفييتية

وقد عكس احد المعلقين الغربيين النتائج المريره التى قاد اليها هذا الاجراء بقوله " اذا كان هؤلاء الناس يفعلون ذلك بشعب صديق مسالم من السلاف وحلفاء

شهوعيين فان بوسعهم القيام بدل شيء "

فالاجراء السوفييتي قد نال اساسا من جو الثقة الذى بدأ ينمو بعرض وبسط • خـــــلال السنوات الماضية تجاه النوايا السوفييتية وحل محله الاعتقاد بان السياسات السوفييتية اصبحـــت من الصعب التنبوء بها • Un provictaple ، او كما قال احد المعلقين الغربيين " لقد حدد السوفييت معنى التعايش السلمى واخرجنا غزو تشيكوسلوفاكيا من حلم كنا مستغرقيـن فيه وهكذا عدنا الى الحقيقة التى تقول ان انقضاء عصر ستالين لم يؤثر بعمق فى سياســــة الكرملين بحيث ان تطور الظروف الدولية والاندفاع الصينى والمتطلبات الاقتصادية الجديـــدة والضروريات السياسية الداخلية ووصول رجال أقل تطرفا وحده جعلنا نعتقد ان بعض الوسائـــل قد تغيرت غير ان الواقع قد أظهر ان سلسله القيم فى الكرملين لم تتغير ولم تتطور عادات نظـــام الحكم السوفييتى وعناصره الجوهرية والتى لا يستطيع الفكاك منها " •

ولما كان حلف الاطلنطى هو اكثر الجوانب فى سياسات الغرب التى تأثرت بجو الوفـــاق وبدبلوماسية الاتحاد السوفييتى التى مارسها قبل اجرائه العسكرى فى تشيكوسلوفاكيا ، كذلـــك كان الحلف هو اول المراكز التى التفت اليها الغرب وهو بصدد تقييم سياساته ، فقد أعطـــى اجراء الاتحاد السوفييتى جرعه قوية للحلف انقذته من الركود والتفكك الذى بدأ يصيبه خاصــــة وأن العمليات التى تم بها التدخل اظهرت قوة وفعالية الجهاز العسكرى السوفييتـــــــى والى جانب ان الدول التى كانت قد بدأت تفكر الانسحاب من الحلف قد عدلت عن هذا التفكيـر فانه قد أعطى للولايات المتحدة فرصة لحث الاعضاء المترددين فى الحلف على تحمل نصيب جديد من المسئولية كما بدأ التفكير فى ادخال تحسينات على الحلف بزيادة التعبئـــــــــة الاستراتيجية واطالة مدة التجنيد العسكرى لتحسين مستوى التدريب وتكديس الاسلحة بصـــورة اكبر وزيادة قدرات الضباط واعادة تزويد الطائرات بالمعدات اللازمة وتحقيق اكبر قد ــ ــ ــن المشاركة فى تحمل أعباء العمليات العسكرية كمراقبة الاسطول السوفييتى فى البحر المتوسط •

%

كما شمل التاثير بعض العناصر فى الولايات المتحدة التى كانت قد بدأت تطالب بتخفيض شامل فى القوات الامريكية فى اوروبا ، فان مايك مانسفيلد زعيم الاغلبية فى مجلس الشيوخ الامريكى الذى كان يتزعم طلب التخفيض اضطرته احداث تشيكوسلوفاكيا الى القول " ان غزو تشيكوسلوفاكيا قد غير تماما مسالة سحب بعض القوات الامريكية من اوروبا فى الوقت الحاضر على الأقل . "

وقد بدى بوضوح مدى تاثير أحداث تشيكوسلوفاكيا على حلف الاطلنطى من البيان الذى صدر عن اجتماع الحلف فى ١٥ ـ ١٦ نوفمبر ١٩٦٨ حيث قرر : ـ

١ ـ ان أعضاء الحلف لايبدون فى استطاعتهم البقاء مكتوفى الايدى عند اية تطورات تعرض امنهم للخطر .

٢ ـ ان الدول الحليفة المشتركة فى برنامج الدفاع المتكامل للاطلنطى قد اضطرت الى اعادة تقدير حالة دفاعها الدفاعية وهى تعتبر ان الموقف الناجم عن الاحداث الأخيرة يدعو الى رد فعل جماعى . وسوف تجرى تحسينات فى قوات حلف الاطلنطى من حيث النوعية والفعالية والانتشار ـ سواء بالنسبة للأفراد او العتاد وسوف تحسن ايضا نوعية القوات الاحتياطية وتزيد قدرتها على سرعة التعبئة .

٣ ـ انه اذا كان الحلف قد رأى فى الماضى وجوب اتباع سياسة تساعد على تخفيف توتر الموقف الدولى ، فان التصرف الأخير لاعضاء حلف وارسو قد أجبر حلفاء الاطلنطى ان يقللوا من مستوى التقارب الذى تم بين اعضاء حلف الاطلنطى وأعضاء حلف وارسو ، ويعنى ادق فان احتمالات الخفض المتبادل والمتوازن لقوات كل من الحلفين قد أصيبت بنكسة .

فاذا كان هذا هو مدى التاثير الذى احدثه التدخل العسكرى السوفييتى فى تشيكوسلوفاكيا فما هو مدى تاثيره على آفاق الوفاق بين القوتين وهل يعنى هذا انحسار هذه السياسة والعودة من جديد الى الشكل التقليدى للحرب الباردة ، ثم ما هى اثاره على اسلوب التعايش السلمى وما هى الحدود الجديدة لهذا الأسلوب ؟ .

قال ميشيل د وبريه وزير خارجية فرنسا فى تكييفه لتاثير هذا الحدث على الجو الوفاق الذى ساد العلاقات الدولية فى السنوات القليلة الماضية " ان حادث تصادم على الطريق يجب ان لايمنع حركة المرور " يريد ان يقول ان التدخل السوفييتى فى تشيكوسلوفاكيا يجب ان لايمنع استمرار سياسة الوفاق • ورغم اختلاف البعض مع د وبريه فى ظروف التشبيه الا ان عناصر كثيرة فى الموقف تقف الى جانبه •

فقد رأينا كيف ان سياسة الوفاق قد فرضتها عناصر فى واقع العلاقات الدولية والقوى التى تحكمها وكذلك فى واقع مجتمعات القوتين الكبيرتين • ورغم حدث تشيكوسلوفاكيا فان عناصر الواقع التى املت سياسة الوفاق ما زالت قائمة :—

— فمازال حرص القوتين على تجنب المواجهة الذرية بما تنطوى عليه من اخطار جسيمة تهدد وجود شعبيهما بل والانسانية باثرها •

— وما زال من اهداف القوتين تخفيض العبء غير المحتمل الذى تفرضه تصعيد سباق التسلح ونفقاته الخيالية •

— ومازال قائما حرص القوتين — وربما الاتحاد السوفييتى بشكل اكثر — على تصحيح وتطوير اوضاع داخليه تسبب له كثيرا من الحرج فى مجتمعه •

— كذلك هناك حرص القوتين على مساعدة دول العالم الفقيرة ولو لمجرد منعها من الانحراف الى آراء ماوتسى تونج التى تهدد مصالح امريكا وروسيا فى حالة انتشارها • هذا فضلا عن احتمالات تطور وضع الصين الدولى فى الحقبة الماضية •

ازاء استمرار هذه العناصر الموضوعية فى الكيان الدولى عموما وفى واقع القوتين • فان حدث تشيكوسلوفاكيا ربما لايكون فعله اكثر من فعل الضباب الذى يعطل المسيره ولكنه لا يوقفها فربما أدى الى الابطاء فى اتمام احد عناصر الوفاق مثل التصديق على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية • وربما يثير البعض من جديد فى الولايات المتحدة مشروع انشاء شبكه مضادة للصواريخ بعد ان كان سيصرف النظر عنها • وظهور اتجاهات كانت قد بدأت تختفى حول سباق التسلح •

ومن ناحية أخرى سنجد ان التقييم الحقيقي للحدث التشيكي بالمعايير الواقعيـــــة قد يعطيه حجمه الحقيقي بعيدا عن الضجة التي ارتبطت بالاجراء ، فالتدخل السوفييتـــــي لم يصنع اكثر من انه اكد حقيقة كانت قائمه وهي استمرار وجود تشيكوسلوفاكيا في اطار التحالـــف مع السوفييت وهي الحقيقة التي كان الغرب قد عود نفسه على تقبلها ، بل انه في نظر البعـــض ربما يبدو الاجراء السوفييتي طبيعيا اذا ما نظرنا اليه في ضوء سياسات مناطق النفـــوذ وفي ضوء سلوك الولايات المتحدة الامريكية التي تعد مناطق نفوذها لا لكي تشمل مناطق الجـــوار ولكن لتتضمن مناطق تمتد من المحيط الباسيفيكي وجنوب شرق آسيا والتي يبدأ حزامها الواقـــي من سايجون ، وهي تسلك في سبيل المحافظة عليه من القوة وبدون اعتبار للحياه الانسانيـــة هذا فضلا عن تدخلها المعروف في كوبا والدومينيكان التي تعتبرها من مناطق نفوذها التي لا يسمـــح الاقتراب منها . اذا ما رأينا الاجراء السوفييتي من هذا المنظور فهو لم يفعل اكثر من انه اعاد تأكيد واقع مقرر في العلاقات الدوليـــة .

ورغم حملات الاستنكار الامريكي ضد التدخل السوفييتي فقد يكون المنظار السابـــق حقيقة هي التي تنظر من خلالها القوى الحاكمة في امريكا وكثيرون من ساسة الغرب الى ابعـــاد الأزمة دوليا فقد صرح دين راسك وزير الخارجية الامريكية " انه مهما كان رأينا حول المســألة التشيكية فان هذا الرأي لن يمس مشاكلنا ويجب ان تستمر الحياه في مجراها ، فمن المؤكـــد ان عمليه براغ رغم سخفها ليس لها اهمية محدوده بالنسبة لافراد يحملون اعباء مثل حـــرب فيتنام او الشرق الاوسط او سباق التسلح النووي ، فهي لا تغير شيئا في توازن الاستراتيجيـــة فتشيكوسلوفاكيا كانت وستظل عضوا في حلف وارسو "

كما ان جورج كريستيان السكرتير الصحفي للبيت الابيض يرى التسليم بضرورة رفـــض دبلوماسية الوفاق ولو مؤقتـــا " ، ونجد ان بوريس مارتن يعلن ان احداث تشيكوسلوفاكيـــا لا تشكل اي ازمة عالمية بل انه يقول " ان احداث تشيكوسلوفاكيا تجعل لزاما على امريكـــا قبل اي وقت مضى ان تبادر الى السعي الى السلام والى اعادة تحديد اهدافها وتوجيه سياستها بحيث تضرب المثل للدول الاخـــرى " .

كما نجد ان سياسيا مثل بول هنرى سباك الذى شغل منصب سكرتير عام حلف الاطلنطى خلال احتدام الحرب الباردة يقرر " انه مهما كانت معارضتنا للتدخل السوفييتى فى تشيكوسلوفاكيا فان علينا ان نستمر فى سياسة الوفاق والتعايش السلمى لان العوده الى الحرب الباردة لن تقدم اى مساعدة للتشيك بل انها ستزيد من حدة المشكلات التى تواجه العالم "

ان النظرة الواقعية لمشكلات عالمنا المعقدة تظهر ان من اكثر الحقائق المعاصرة اهمية هو ان التعاون بين الدول الكبرى ضرورى جدا اذا ما اريد ان يكون العالم مكانا صالحا للعيش ، واذا ما أخذنا فى الاعتبار وجود مراكز متفجرة منها البارز ومنها الكامن مثل الوضع فى فيتنام والنزاع العربى الاسرائيلى ، والمشكلة الالمانية ، والانقسامات المتعدده فى آسيا وافريقيا ، وفى ضوء هذه الظروف يصبح التحدى الذى تواجهه الدبلوماسية الدولية هو كيفية خلق الظروف المواتيه فى العالم التى تساهم فى اقرار السلام فى الوقت الذى تشجع فيه احداث تغيرات سياسية ، وخلق المواقف التى تحتمل حدوث تغيرات سياسية بدون تعريض الامن العسكرى للخطر ، ويعنى هذا فى التطبيق ان يكون من الممكن تغيير النظام السياسى فى فيتنام بدون تعريض موقف الولايات المتحدة للخطر ، كذلك يعنى فى اوروبا امان وضع نظام امن يكفل حدوث تكييفات ايجابية فى النظام السياسى لدوله ما دون تعريض جيرانها للخطر ، ذلك ان من الحقائق الكبيرة التى يجب ان تظل فى الاذهان عند استعراض وتقييم الازمة التشيكية والتى بالمعايير الواقعيه تجب كافة الاعتبارات هو ان ما اقدم عليه السوفييت لم يكن الا لتخوفهم من أن تؤدى سلسلة التطورات السياسية الداخلية فى تشيكوسلوفاكيا الى فتح ثغره فى حائطهم الدفاعى .

اما عن تأثير الازمة التشيكوسلوفاكية على اسلوب التعايش السلمى وعلى حدوده ، فان ثمة اتجاها يعتقد ان الاجراء الذى اتخذه حلف وارسو يؤذن بميلاد شكل جديد من اشكال التعايش السلمى من جانب الاتحاد السوفييتى يهدف به الى تصحيح خطا تعايش السلمى وموازينه التى انتهكت من جانب القوى الامبريالية والتى استغلت الاسلوب الذى مارس به الاتحاد السوفييتى سياسة التعايش السلمى لكى تحقق مكاسب جزئية متتالية .

%

غير انه من رأينا اذا كان الاتحاد السوفيتي قد تجاوز تجربة حلف وارسو اطار التعايش السلمي فان هذا لم يكن الا للوضع الخاص الذي تمثله "الحالة" التي تجاوز فيها هذا الاسلوب ، وهي حالة تمس صميم كيان الاتحاد السوفيتي ذاته ،ثم انه قد أقدم على هذا الاجراء وهو يعلم ان الغرب — في اطار الاقرار الضمني بمناطق النفوذ — لن يتخذ اجراء مضادا ،وبذلك يصبح احتمال تكرار السوفييت لهذا الاجراء قد لا يتكرر الا في الحالات والمواضع التي تمثل تهديدا مباشرا لامنه القومي ولوضع جوهري يمس بناء المعسكر الاشتراكي .

تأثيرات الازمة التشيكية داخل الكتلة الاشتراكية :-

مرت العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وبلدان اوروبا الاشتراكية عبر عدة مراحل تميزت بخصائصها النوعية التي كانت تستمد عناصرها من طبيعة المرحلة ومن الاوضاع الدولية والداخلية التي كانت تحيط بشكل خاص بالاتحاد السوفيتي وعمليات البناء الاشتراكي في باقي اقطار المعسكر وكانت اولى هذه المراحل ابان الحرب العالمية الثانية والفترة التي تلتها مباشرة والتي شهدت محاولات الاتحاد السوفيتي نشر نفوذه وايديولوجيته في هذه البلدان من خلال الاحزاب الشيوعية والتي كان معظم قادتها يتحركون من موسكو ويتكونون فيها سياسيا ونفسيا وعقائديا ،وكذلك من خلال وجود الجيش الاحمر في معظم هذه الاقطار ابان وبعد دحر النازية ومن خلال هذين العنصرين تمكنت العناصر الشيوعية من السيطرة على الحكم . اما المرحلة الثانية فهي التي شهدت العمليات الاولى للبناء والتطبيق الاشتراكي ،وقد تمت هذه العمليات في ظل نظره ومفهوم ستالين الى هذه الاقطار التي رأى ان يفرض عليها الايديولوجية الشيوعية ولو بالقوة وفي ظل القاده الذين تدربوا على المفاهيم الستالينية و ابقوا بالتالي السياسات والاساليب الستالينية على مجتمعاتهم ، وقد شهدت هذه الفترة حدثين احدثا هزات متفاوته في هذه المجتمعات ونعني بهما وفاة ستالين عام ١٩٥٣ وهو الحدث الذي لم تكن تاثيراته

لتشمل اوضاع وشكل الحكم وشخصياته وايذانا بمرحلة جديدة فى اسلوب العمل والتفكير فـــى الاتحاد السوفييتى بل كان ليمتد لتشمل تاثيراته دول اوروبا الشرقية . اما الحدث الثانـــى فكان انعقاد المؤتمر العشرين للحزب السوفييتى عام ١٩٥٦ والذى تبلورت فيه العناصـــر التى ظلت تعمل فى المجتمع السوفييتى منذ وفاة ستالين وتمخض عن مبادئ وقيم جديدة كان ابرزهـــا بالنسبة لمجتمعات اوروبا الشرقية هو الاقرار بحقها فى اختيار طرقها الخاصة والمتميزة للاشتراكيـــة اما اهمها عن حق فكان ادانة المؤتمر للاساليب الستالونية وهو لم يكن بالامر الهين بالنسبة لمجتمعات اوروبا الشرقية لانه كان يعنى تصفية كثير من العناصر الرئيسية التى تعتمد عليها نظم الحكـــم فيها والمساس بكثير من شخصيات التى ارتبط حكمها بالاساليب الستالينية .

اما المرحلة الثالثة فكانت مرحلة الفصل بالنسبة للمبادئ الجديدة التى خرجـــت عن المؤتمر العشرين والتى كان من نتائجها أحداث بولندا والمجر . غير أن اهم ما تميزت بـــه هذه المرحلة هو اعادة تقييم السوفييت للمعايير التى تقوم عليها علاقاتهم مع هذه البلدان بالشكل الذى يتجاوب مع الحاجات الملحة التى بدأت تظهر فى مجتمعات الكتلة الاشتراكية متمثلة بالاتحاد السوفييتى نفســـه :ـ

- فقد ظهرت الحاجة الى ادخال عناصر الاسترخاء على حياة هذه المجتمعات بالاستجابة الى حاجاتها اليومية والاستهلاكية كما ونوعا والتقليل من التضحيات التى تبذل من اجل الصناعة الثقيلة .
- كما ظهرت الحاجة الى تغيير الصورة البوليسية التى ظلت تحكم بها هـــذه المجتمعات بالحد من نفوذ البوليس السرى .
- كذلك الموازنة فى العلاقة بين الحزب والحكومة واعطاء مزيد من المسئوليـــات للاجهزة والمؤسسات

%

غير ان القاده السوفييت وهم يعيدون تقييم علاقاتهم مع هذه البلدان ووجهوا بمأزق تمثـل في صعوبة وجود الصيغة المتوازنة التي يمكن ان تحكم بها هذه المجتمعات ، او بمعنى أصح العثور على القيادات التي تستطيع ان تواجه مقتضيات الاحتياجات الجديدة دون ان يتطور عن تلبية هذه الاحتياجات الجديدة اوضاع تؤثر في النهاية على جوهر النظام الاشتراكي فقد ووجه السوفييت بنوعين من القيادات ، النوع الاول تمثل في القيادات ذات التكوين القديم من امثال راكوسي في المجر ومدوسلاف بيرت في بولندا قبل ثورتيهما ، ومثل شرنكوف في بلغاريا ، والبرشت في المانيا الديموقراطية ونوفتني في تشيكوسلوفاكيا ، فهذه النماذج بحكم تكوينها وتاريخها لم تكن تستطيع ان تتقبل بسهولة مطالب التغيير في مجتمعاتها .

اما النموذج الآخر فقد تمثل فيما يمكن ان يطلق عليهم الوطنيين وان برنامجهم يتضمن كثيرا من العناصر التي تتلاءم مع الحاجات الجديدة غير ان جوهر الصعوبة في برنامج هؤلاء انه يكمن فيه بذور تحولات قد لا يمكن السيطرة عليها في المستقبل .

هذه هي الخلفية التي يجب ان نرى في ضوئها ونفسر تطور المواجهة بين السوفييت وبين القياده الجديدة في تشيكوسلوفاكيا لان هذه القيادة قد تجسد النموذج الثاني من الاختيار بين القرنين السابقتين من نماذج القياده في مجتمعات شرق اوروبا .

وما يعنينا الآن هو أن نبحث بشيء من التركيز تاثيرات الازمة على : ـ

أ ـ العلاقات الثنائية بين تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتي

ب ـ تأثيرها على النظم القائمة في باقي بلدان اوروبا الشرقية .

ج ـ تأثيرها على الاحزاب الشيوعية غير الحاكمة في اوروبا الغربية .

/.

في تشيكوسلوفاكيـــــا : ـ

رغم ان تطبيقات النظام واساليبه منذ ان تولى السلطه وخاصة في اعوامه الاولى قد اثـــرت الى حد كبير على موقف كثير من قطاعات المجتمع التشيكوسلوفاكي وعلى مدى تجاوبه مــــع الايدلوجيه الشيوعية واثرت بالطبيعة على مشاعرها تجاه الاتحاد السوفييتي ، على الرغـــم من هذا فان أقسام من الرأى العام التشيكي ظلت تنظر الى الاتحاد السوفييتي نظره الحليـــف الذى احترم تحالفاته مع بلادها ووقف الى جانبها ايام محنه ميونيخ في وقت تخلت عنها فيـــه دول الغرب ونقضت تحالفاتها ، ومن ثم ظلت هذه الاقسام تنظر الى الاتحاد السوفييتي باعتبـــاره الشقيق السلافي الكبير ليس فقط باعتبار رصيده ايام الحرب الثانية بل كذلك لان تاريـــخ روسيا مع الشعب التشيكوسلوفاكي لا يحوى اى نقاط سوداء ، فبينما اخمدت روسيا القيصريـــة ثورتين في بولندا والمجر عام ١٨٣٠ ـ ١٨٤٦ فان تاريخ العلاقات مع الشعب الروســــى يخلو من مثل هذه الرواســـب .

واذا كان الاتحاد السوفييتي قد اعتبر ان تدخله العسكرى كان " نجده " لتشيكوسلوفاكيـا ولطبقاتها العامله وحماية لمكاسبها الاشتراكية ، فانه من الواضح أن قطاعات عديده من الشعـــب التشيكي قد اعتبرت ان هذا ليس أقل من غزو عسكرى ، كما أن الاقسام التي كانت تحمل احترامـــا للاتحاد السوفييتي رأت في الحملة العسكرية تشويها للعناصر الايجابية في علاقـــات الشعبين . اما العناصر الاشتراكية المخلصة فقد اعتبرت ان هذا الاجراء لن يؤثر فقط على مشاعر الشعب التشيكي تجاه الاتحاد السوفييتي بل على مكانة النظام الاشتراكي نفسه في تشيكوسلوفاكيـــا باعتبار ان التجربة الجديدة في تشيكوسلوفاكيا قد ارتبطت عند مجتمعها بالعمل على تصفيـــة الاخطاء القديمة وتقديم صوره انسانية للاشتراكية ويدللون على ذلك بان ارتبـــــاط المجتمع بالحزب لم يكن في يوم من الايام أقوى من فترة الاحياء التي مثلتها الشهور الاولــــى قبل التدخل وانه في شهر يوليو ١٩٦٨ سجل ٤ آلاف مواطن اسماءهم كاعضاء في الحـــزب الشيوعي وكما عبر أحد التشيك (اننا لم نكن نهتم بالسياسة حتى يناير الماضي ولم يكـــن

العشر منا يذكر أنه شيوعى ، اما اليوم فاننا نقف جميعا خلف دوبتشيك لا بوصفه رجلا ولكن بوصفه قائدا شيوعيا ، وهذه أول مرة يبدو لنا فيها امل الشيوعية الانسانية " .

ب ـ تأثيرها على النظم الأخرى فى اوربا الشرقية :

اشرنا الى أن من بين الدوافع التى لا تنكر للاجراء السوفيتى العسكرى فى تشيكوسلوفاكيا كان التخوف من جاذبية وتأثير التجربة التشيكية على انظمة الحكم الأخرى وخاصة فى المانيا الشرقية وبولندا والمجر .

ونستطيع ان نفهم تأثير هذا التدخل على هذه النظم من زاويتين ، الزاوية الأولى هو أنه قد نجح من حيث العناصر الليبرالية فى هذه المجتمعات الى عدم محاولة تعدى الحدود المرسومة للتغيير فى كافة المجالات ، اما الزاوية الأخرى فهو تأثيره على سعى هذه الأنظمة الى جذب مجتمعاتها الى مبادئها وتعدى مرحلة السلبية التى وسمت علاقة هذه المجتمعات بأنظمة الحكم القائمة ، فمنذ ١٢ عاما وهو تاريخ التدخل السوفيتى فى بولندا والمجر ، والأحزاب فيهما تسعيان الى التخفيف من الآثار السلبية التى تركتها عملية التدخل على علاقة أحزاب هذه البلدان مع مجتمعاتها ، من هذه الزاوية فان التدخل السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا قد حطم هذه الجهود وأعاد الى الأذهان الأساليب التى كانت تتبع منذ ١٢ عاما .

غير أن ثمة نظامين اشتراكيين كان لهما موقف خاص باعتبار سياساتهم المتميزة من الأزمة التشيكية ونعنيهما رومانيا ويوغسلافيا .

فقد اعتبرت يوغسلافيا التجربة التشيكية امتدادا للنموذج اليوغسلافى الذى قدمته فى الوقت الذى كانت الأقطار الاشتراكية فيه تخضع لقبضة ستالين القوية . لذلك جاء موقفهما من عناصر التجربة التشيكية متوافقا مع المبدأ اليوغوسلافى فى حق كل بلد اشتراكى فى اختيار التطبيقات للاشتراكية الملائمة لأوضاعه الخاصه .

وقد صرح الرئيس تيتو بعد التدخل العسكرى بأن " دخول وحدات عسكرية أجنبية بدون دعوة أو موافقة الحكومة أثار لدينا شعورا بالغا بالقلق " كما صرح سبيلاك رئيس الوزراء أمام البرلمان اليوغوسلافى " لقد كنا نعتقد انه قد فات الزمن الذى كانت فيه المعتقدات الايديولوجية تتخذ ستارا لتبرير التدخل فى الشئون الداخلية لدولة مستقلة ذات سيادة ولكن المخاوف التى أثارتها التطورات الاخيرة ترغم الحكومة اليوغسلافية على الدفاع عن سيادتها " .

وقد أثار هذا التصريح أن لدى اليوغسلاف تخوف من احتمال تدخل سوفييتى مماثل ضدهم كما أشيع عن تعبئة القوات اليوغوسلافية ان يوغسلافيا قد طلبت مساعدات من حلف الأطلنطى .

غير ان تيتو كعادته فى كل المواقف التى تعرضت فيها علاقاته مع السوفييت لهزات منذ اتصالحهما عام ١٩٥٥ قد سعى الى اعادة التوازن الى موقفه مع السوفييت والى عدم استثارتهم ، فنفى انه قد طلب اى مساعدات من حلف الاطلنطى بل ذهب الى التحذير من المبالغة فى ابراز خطورة الآثار الدولية التى ترتبت على التدخل فى تشيكوسلوفاكيا .

اما عن رومانيا فقد كان موقفها اكثر حرجا ودقة من يوغسلافيا ، فهى باعتبار سياساتها المستقلة كان عليها ان تؤيد القيادة التشيكية الجديدة وكذا أن تعتبر أن دخول قوات حلف وارسو الى تشيكوسلوفاكيا " خطأ بالغ وخطر على السلام فى اوربا والاشتراكية فى العالم " كما صرح تشاوشسكو غير أنه من ناحية ارتباطاتها بمنظمات المعسكر الاشتراكى كحلف وارسو والكوميكون يحتم عليها ان تعبر عن نواياها الحسنه تجاه السوفييت وهو ما جعلها توافق على اجراء مناورات عسكرية للحلف فى اراضيها فى الربيع القادم .

ان المعنى الذى يمكن ان نخرج به من الظروف التى ارتبطت بموقف رومانيا ويوغسلافيا من الازمة وبعناصر التوازن التى حدثت فى موقفهما هو أن توازن القوى الأساسى فى اوربا قد اثبت وجوده من جديد ، فالرومانيين كانوا والصينيين واعترفوا بأن عليهم عدم استثارة

السوفييت ومراعاة وضعهم داخل حلف وارسو اذا ما ارادوا ان يتعرضوا للتدخل كما كانوا واقعيين فى عدم اعتمادهم على أوهام تأييد الغرب لهم ، اما يوغوسلافيا فانها تعتقد انهما لا تزال خارج منطقة النفوذ السوفيتى ، وان السوفييت لاعتبارات كثيرة لن يقدموا على اجراء عسكرى نحوها ، وهى نفس الاعتبارات التى منعت ستالين من القيام بهذا الاجراء فى وقت بلغت العلاقات فيها قمة العداء .

أما عن تأثير الأزمة على الأحزاب الشيوعية الأوربية غير الحاكمة ، فسوف تقتصر على الحزبين الشيوعيين الايطالى والفرنسى باعتبارهما اكبر هذه الأحزاب وزنا .

وقد كان لهذين الحزبين فى السنوات الاخيرة مواقف معينة داخل الحركة الشيوعية الدولية وبشكل خاص بعد وفاة الزعيم الشيوعى الفرنسى موريس توريز والذى كان معروفا بميوله الستالينية ، وكذا منذ وصية الزعيم الايطالى بالميرو تولياتى التى حوت نظريته فى تعدد المراكز واستنكر فيها انفراد مركزواحد بالسلطة والتوجيه مراحل الحركة .

وقد عمل واقع هذين الحزبين والتغيرات التى لحقت العلاقات الاجتماعية والواقع الاقتصادى لمجتمعاتهم وخاصة فى فترة الحرب الباردة عمل على دفعهما الى احداث تكيفات فى اساليبهم فى العمل وفى اعادة تقييم عناصر فى الفكر الماركسى التقليدى لكى يتوائموا مع هذه التغيرات فقد شهدت مجتمعات اوربا الغربية بصفة عامة بعد الحرب الثانية بفضل مشروع مارشال للانعاش الاقتصادى وبفضل عمليات التكامل الاقتصادى بينها من خلال التكتلات الاقتصادية ، شهدت انتعاشا اقتصاديا انعكس على واقع الطبقات العمالية والشرائح الدنيا من الطبقة المتوسطة جعلها تقترب من الوضع البرجوازى وبالتالى اصبحت اقل استجابة لجاذبية المبادىء الشيوعية .

اما العنصر الثانى من التحديات التى واجهتها الاحزاب الشيوعية فرنسا وايطاليا فكان فى رسوخ القيم الديموقراطية فى مجتمعاتهم وبشكل خاص فى فرنسا وحيث كانت تواجه بما هو معروف عن الاحزاب الشيوعية الحاكمة فى شرق اوربا من تقييد ها للحريات والحقوق الشخصية ، لذلك كان نجاح التجربة التشيكية ذا تأثير ايجابى فى صالح وضع الحزبين

الفرنسي والايطالي داخل مجتمعاتهم ، فالتجربة التشيكية كانت تهدف الى تقديم صيغــــة تتوازن فيها العنصر الديموقراطي والحقوق الشخصية جنبا الى جنب مع الحقوق الاقتصاديــة والاجتماعية ، فنجاح مثل هذه التجربة كان دليلا امام المجتمعين الفرنسي والايطالي على انــه في الامكان قيام نظام اشتراكي دون ان يضحى بالقيم الديموقراطية وان ثمة مجالا داخل النظـــام الاشتراكية لحريات الفكر والحريات الشخصيــة .

لذلك كان الحزبين الفرنسي والايطالي من اكثر عناصر الحركة الشيوعية الدولية التي لـــم ترض عن التدخل العسكري في تشيكوسلوفاكيا وكانت فيه — بالاعتبارات السابقة — انعكاسـات سيئة على وضعها كأحزاب بين مجتمعاتها ، كما عبر الحزب الفرنسي عن " دهشته واستنكــاره للتدخل العسكري " وعبر الحزب الايطالي عن " اختلافه الخطير " مع قرار التدخل ولعــل انعكاسات هذا تبدو في مؤتمر الحزب الايطالي الثاني عشر الذي عقد مؤخرا والذي صــرح خلاله سكرتير الحزب المساعد بان الحزب يعمل على اقامة " شكل من اشكال الديموقراطيــة يختلف اختلافا جديدا عميقا عن اي شكل سابــق . "

السيد امين شلبــــي

فبراير ١٩٦٩

"ع"

المراجـــــع :

- Communism in Europe , Volume 1 , 2
  Edited by William E. Griffith .
- The Communist subversion of Czechslovakia 1938-1948
  By: Sosef Korbel .
- East Central Europe and the world
  Edited By: Stephen D. Kertesz .
- East Europe in the post - war world
  By: Hupert Ripka .
- The Soviet Block, unity and conflict
  By: Brzesinski .

دوائر المعـــــارف :

- Dead Line Data, Czechslovakia

٢ ـ المجلات والدوريات :

- East Europe , New York اعداد عام ١٩٦٨
- Survey, A Journal of Soviet and Wast European studies,
  London , اعداد عـــام ١٩٦٨

مجلة السياسة الدولية ، وثائق الازمة التشيكوسلوفاكيه
اعداد اكتوبر ١٩٦٨ ، يناير ١٩٦٩

برنامج عمل ، اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي :
اصـــدار وكالة الانبـــاء التشيكيه .

الجرائـــد :

- The Times.
- The Herald Tribune .
- The Observer .
- The Sunday Times .

أعـــداد عام ١٩٦٨ .